

علم نسيء التقويم القمري العربي على الشمسي حتى وفاة النبي (ص)

أ.م.د. تومان غازي الخفاجي

الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف

أ.م.د. شكيب غازي الحلفي

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدّمة:

إنّ علم تصحيح التقويم القمري المسمّى بـ(علم نسيء التقويم) من علوم القرآن الذي تغافل عنه القدماء والمحدثون، على الرغم من قَدَمِ نصوصه التاريخية والدينية، حتى أثار مشكلته السيد فرقد القزويني في فيديو مشهور، وسوف نتناول هذا الموضوع على وفق منهج علم الإدراك المعاصر الذي يرينا كيفية عمل نظام الإدراك، عندما تكشف ملكة القلب التدرّبية عمّا هو جديد، ومختلف عمّا تدبرته قلوب القدماء، بسبب اختلاف السياق المقامي القديم عن المقام الحالي، كمستوى خامس من مستويات لغة الخطاب لا يمكن التغاضي عنه في تدبّر معاني النصّ التدرّبية المخبّأة في المستوى المقامي كمستوى يسלט الضوء على الجانب النفعي والأخلاقي العام، الذي يتطوّر عبر مرور الزمن.

لذلك يُعنى هذا البحث بتقديم منهج أو طريقة بحث منطقية جديدة تكشف عن آليات اشتغال نظام الإدراك البشري المتألف من تضافر ثلاث ملكات هي: (العقل المجرد من المادة، والقلب نصف المجرد، والحس المادي التجريبي) اشتغالا سليما كنظام علائقي متناغم العمل يفيد من مجموعة علوم حديثة هي: علوم اللسان والفلسفة وعلم النفس الإدراكي وعلم الحاسوب، للإجابة على سؤال جوهرى هو: كيف تشتغل اللغة مُعبّرة عن اشتغال نظام الإدراك البشري عندما يُريد إدراك موضوع ما إدراكا سليما متطورا عبر مرور الزمن؟

يكشف هذا المنهج أيضا عن فقر البحوث الإنسانية العربية والإسلامية الحالية التي تفتقر - في الأعمّ الأغلب - إلى الرؤى التي تفيد من الماضي وتستلهم مُعطيات الحاضر وتتطلع لاستشراف المستقبل

بالجديد الأصيل الذي يشعرنا بأهمية نقد المعارف والعلوم القديمة.

ويرجع سبب هذا إلى خطأ حضاري يكمن في تقديسنا للقديم لقدمه، كذلك سمّيت العلوم القديمة بـ(علوم الأوائل)، التي علينا أن نقدها ونتذكرها كيلا ننسأه، من دون أن نعي أن النسيان إنما هو نعمة من نعم الله التي توفر للعقل البشري إمكانية رؤية العالم بأنظارٍ جديدة^(١).
مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في ما يثيره السؤال التدبيري الآتي: هل أن ثقافة الدين الإسلامي ثقافة حياة إيجابية، خلقنا لنعمل وننعم فيها ونُدخِرَ بالإنفاق مما رزقنا لما بعدها من حياة أخروية، أو هي ثقافة موت سلبية زاهدة بالحياة، يستلهم جمهورها علومهم من حدوس المعتكفين في الصوامع؟!.

فرضية البحث:

إذا سلّمنا بصحة فرضية أن (الثقافة الإسلامية ثقافة حياة إيجابية)؛ لأنّها نتاج آخر دين سماوي يعتقد معتقوه بأنّه يصلح لكلّ زمان ومكان، فإنّ حلّ مشكلة البحث تكمن في فرضية: (وصل المنافع الدينية بالمنافع الدنيوية العامة) لفقّ أيّ تنافٍ تعارضي بين المنفعتين، كيما يتحرّر المتديّن من أنانيته، فيكون هذا الوصل وصلاً تكاملياً بعملية اصطلح عليها العرب فيما يخصّ موضوع البحث بـ(نسيء التقويم القمري)، الذي رصدنا دلائل حدوثه في عصر قبل الإسلام منذ ولادة النبي (ص) حتى مبعثه، وفي العصر الإسلامي منذ البعثة حتى وفاة النبي (ص)، بإجراء تصحيحات في الساعة القمرية المقصّرة، التي تُصحح أيضاً بزيادة شهر نسيء كبش تصحيحي للسنة القمرية يفيد في إنشاء تطابق أو تواطؤ بين التقويم (القمري/الهجري) المتّصل بالمنافع الدنيوية مع التقويم الشمسي المنضبط نسبياً، والمتصل بالمنافع الدنيوية أو بالمواسم الزراعية، وما يتبعها من توازن طبيعي يربط بين حياة الإنسان والحيوان والنبات والبيئة الحاضنة كمخلوقات يكون الإنسان المتحصّراً أو المتديّن مسؤولاً عنها، وإلاّ أصبحت الثقافة الإسلامية ثقافة موتٍ سلبية، ولاسيما أنّ عملية نسيء التقويم القمري، أو تصحيح التقصير في السنة القمرية على السنّة الشمسية الموسمية، هو إجراء مُعتمد في جميع أنحاء العالم؛ عند الصينيين والهندوس

واليهود والعالم المسيحي وغيرهم من الأمم المتحضّرة^(٢).

وجاهة فرضية البحث من الناحية الشرعية:

تكنم وجاهة فرضية البحث من الناحية الشرعية بأنها تُمثلُ سنّةً نبويّةً أقرّها النبي (ص) من مبعثه حتى وفاته، بدليل تطابق الوقائع التاريخية المؤرخة بالأشهر القمرية ومقابلتها مع أشهر العجم الشمسية، بحسب ما أوردها اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ) في تاريخه، المدعومة بأدلة طبيعية، كالإشارة إلى حرارة الجو ونضج بعض الثمار المرافقة لتلك الحوادث، بما يُنبئ عن حلول عبادة الحجّ الكبرى في وقت شمسي ثابت هو عاشر ذي الحجّة الموافق أو المواطئ لشهر السنة الشمسية الثاني عشر؛ أول أشهر شتاء مكّة ومحيطها، وقت إدراك العشب والفواكه واعتدال الهواء ليسهل على المسافرين السفر إلى مكّة^(٣)، لتحجّج الناس وتناجّر تجارة مادية وثقافية في هذا الموسم الدينيّ الاجتماعيّ.

كذلك بقي الصيام منذ فرضه الله بالمدينة موافقاً لشهر أيلول (سبتمبر)، الشهر التاسع الشمسي، وهو شهر الاعتدال الخريفي في نصف الكرة الأرضية الشمالي الذي يتساوى فيه الليل والنهار، وهو وقت الانقلاب الربيعي في نصف الكرة الأرضية الجنوبي، ما يجعل العقل المجرد يقرّ بوجود نسيئين مختلفين: أولهما: نسيء التقويم القمري قبل الإسلام، الذي نقده القرآن الكريم بوصفه زيادة في الكفر، لا لأنّه يُصحح تقصير الساعة القمرية على الساعة الشمسية، وإنّما لأنّه يفكّك كمال الأشهر الحُرْم المتصلة الثلاثة: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم) الذي يُدرك إدراكاً كيفياً كلياً بالقلب دفعة واحدة كما يُدرك الموضوع الجمالي، الذي يُعرف بقانون: (الكل < مجموع الأجزاء)، أي الثلاثة الأشهر الحُرْم المتصلة أكبر منها مفصولة بشهر يقطّع تواصلها حيناً ويوصلها حيناً.

ثانيهما: نسيء التقويم القمري في الإسلام من البعثة حتى وفاة النبي (ص)، وهو الذي يحافظ على اتصال الأشهر الحُرْم المتصلة الثلاثة، ويُجرى - بحسب اعتقادنا - في الشهر الثاني (صفر) أو غيره ممّا يسبق شهر (رجب) رابع الأشهر الحُرْم المنفصل، وهو الشهر السابع القمري الموافق لشهر تموز (يوليو) السابع الشمسي من حيث ترتيب شهور السنة الاثني عشر.

لهذا اقتضت طبيعة البحث أن يُتَسَمَّ على مبحثين يسبقها مبحث تمهيدي منهجي عرضنا فيه خلاصة نظرية الإدراك السليم لنسيء التقويمين القمري والشمسي ونسيء تصحيح بعضهما على بعض، لغرض فُهِم معنى رِيضنة العقل للواقع ومعنى التدبّر القلبي، ومعنى الواقع الحسي المعيش والعلاقة بين تلك العناصر الإدراكية الثلاثة، لُنُبَيِّنَ أنّ كثيرا من العلوم إنّما هي أحكام صادرة من إدراك الإنسان للحقائق، فهي قد تُخَطئُ وقد تُصِيبُ، وهي إذن لا تمثل حقائق موضوعية مطلقة. أما المبحثان فهما:

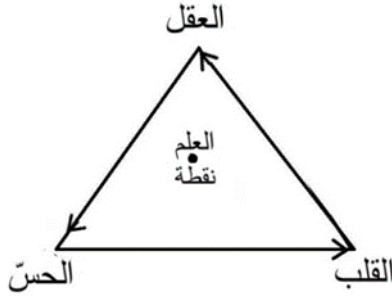
المبحث الأول: نسيء أو تصحيح التقويم القمري قبل الإسلام.

المبحث الثاني: نسيء أو تصحيح التقويم القمري في الإسلام حتى وفاة النبي (ص).

أمّلين من الله العليّ القدير أن يوقفنا لخدمة الثقافة الإسلامية التي أرساها نزول النصّ، الذي حرّر الإنسان من غياهب العبودية والجهل، ومن رؤية الأديان السلبية الزاهدة السابقة التي تحتقر ثقافة الحياة، ذلك هو القرآن الكريم بوصفه نصّاً سماوياً مفصّلاً أحياناً لنفسه، وأحياناً مجملاً تُفصّله السُنّة النبوية كتطبيق واقعي مثالي لنظر الخالق لمخلوقاته التي تقودها سنن التطور التاريخية بقوانين مغروسة فيها تضمن تطورها بحريّة لا ينبغي أن تصادرها قوى الشرّ؛ إلا على نحو الامتحان ليتميّز القوي المنتصر منها من الضعيف المنحدر الذي يمثل مرحلة من مراحل التطور الماضية.

التمهيد: نظرية الإدراك السليم لنسيء التقويمين القمري والشمسي:

وهب الله لمخلوقه الأثير (الإنسان) ثلاث ملكات إدراك هي: (العقل الرياضي المجرد من المادة، والقلب التدبري نصف المجرد من المادة، والحس المادي التجريبي)، التي تكوّن معاً نظام الإدراك البشري الذي يحصر نقطة العلم أو الحقيقة المراد إدراكها في مثلث يسمى بـ(مثلث الإدراك) الموضّح في الأنموذج (الحسي/النظري) الآتي^(٤):



١- عمل العقل المجرد:

يعمل العقل المجرد بافتراض مبدأ عام هو: (مبدأ ثبوت هوية الأشياء وإطراد طبيعتها)، خلقت هكذا وستبقى إلى أبد الأبدين، ويعمل هذا الافتراض على ريشنة الواقع. ولا شيء يلائمه إلا المجردات من المادة وهي: الصور الذهنية المطبوعة في المخ من دون أن تزيد في وزنه شيئاً، ومن هذه الصور التعريفات الحديثة (الجامعة المانعة)، فضلا عن الأرقام والأسماء أو المصطلحات اللغوية العلمية والفكرية التي تمثل الحقيقة اللغوية مقابل الخيال المجازي؛ لذلك يرضين العقل الواقع، بمعنى أنه يكتشف ما فيه من اطراد رياضي؛ ليسهل عملية استقراءه بدقة متناهية وبسرعة فائقة، ويريضن العقل المجرد نفسه أيضاً، فيعمل بقوانين المنطق الأرسطي الثلاثة الآتية^(٥):

١. قانون ثبوت هوية الأشياء، الشيء = نفسه، أو (أ=أ) في وقت واحد.
٢. قانون عدم التناقض في نسبة صفات جوهرية لموضوع ما ونفيها في وقت واحد، إذ لا يمكن أن تكون (أ=ب، ولا ب)، كقولنا: (الإنسان = حيوان + عاقل ولا عاقل) في وقت واحد.
٣. قانون الحكم بالمقياس الثنائي القيمة: القضية (ب) إما صح أو خطأ ولا ثالث بينهما في وقت واحد. وبهذا يُثبت العقل المجرد العالم غير مبالٍ بحركة الزمن فيعمل عمل الحاسوب الصناعي بدوائر كهربائية تسمى بـ(دوائر المنطق)، أهمها دائرة (إمّا يمر تيار = ١، أو لا يمر = ٠) ولا ثالث بينهما؛ لذلك لا يعرف العقل المجرد الأشياء من أسمائها اللغوية الاعتيادية، إلا إذا عرفناها له بلغة الأرقام الثنائية (٠، ١)، وهي نفسها لغة التعريف الحديث بـ(الجنس العام كوصل + النوع كفصل)؛ أي وصل الشيء بجنسه العام نحو:

(الإنسان = حيوان)، ويعني بلغة الحاسوب (٠) لا يمر تيار كهربائي، وفصل الإنسان عن جنسه الحيواني العام بصفة جوهرية مُميّزة له بالذات من سائر الحيوانات الأخرى، نحو: (الإنسان = عاقل)، ويعني بلغة الحاسوب (١) يمر تيار كهربائي.

ويُمثّل (الصفر) في رسم الصورة مركز دبوس الفرجال الثابت الذي يضع نقطة على الورقة، أمّا (الواحد) فإنّه يُمثّل حركة القلم في الطرف الآخر للفرجال، الذي يرسم خطأً. ومن (النقطة + الخط) يتكوّن جزء من أنموذج تشكليي يأخذ حيّزا في المكان كصورة أيقونية^(٦) تشبه جزءا بسيطا من الأشياء كنماذج مخزونة في الدماغ، نحو صورة (الإنسان) مثلا، وذلك حين نلفظ لفظة (الإنسان) فيقرر العقل المجرد بسرعة فائقة، أنّ جزء الصورة يُراد به الكلّ، عن طريق استعمال تقنية المجاز الاستدلالي (جزء ويُراد به الكل)، فيقارن هذا الجزء مع أنموذج كامل كليّ صوري مطبوع على طين المخ ثابت الهوية لا يتغيّر بمرور الزمن.

ومن الحقائق التي تشير إليها الأسماء كريضة للواقع، فيما يخصّ موضوع البحث، تسمية العقل المجرد لشهور السنة القمرية التي يجب أن لا تنتهك معانيها التدبرية القلبية كمضامين للشكل اللفظي، كما انتهكها نسيء التقويم القمري الجاهلي، إذ كانوا يحجّون العام والذي يليه في ذي الحجة، ويحجّون في السنة الثالثة في الشهر الأول المحرم سنتين متتاليتين، ثم يحجّون في (صفر) بالوتيرة نفسها وهكذا، ليبقى وقت الحج ثابتاً في أشهر الخريف وبداية أول شهر شتوي من أشهر السنة الشمسية، حتى وافقت حجة أبي بكر في (ذي القعدة)، ثم نسيء التقويم القمري؛ أي أُخّرَ بنقل النشاط الديني من شهر قمري إلى الذي يليه بعد مرور سنتين والدخول في الثالثة، فتحوّلت حجة الوداع إلى ذي الحجة^(٧)، فتطابقت دلالة تسمية ذي الحجة مع النشاط المدلول عليه كمضمون مُجسّد في الواقع المعيش، وهو المُسبّب المنطقي لتلك التسمية.

وتظهر ريضة الواقع جليّة في عالم الأرقام، إذ يشير واقع دوران القمر حول الأرض في اثنتي عشرة دورة كبرى ماسحة للأبراج السماوية الاثني عشر بالعود إلى نقطة البدء، ويشير أيضا إلى حساب الدورة الواحدة في وحدة العدّ، وهي الشهر، فيكون الشهر = (٢٩,٥٣٠,٥٨٨) يوماً^(٨)، أي ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة و ٤٤

دقيقة، و ٢,٨٠٣٢ ثانية، فتكون السنة القمرية (٣٥٤,٣٦٧٠٥) يوماً في الواقع التجريبي المحسوس، فيحذف العقل مجرد الكسور ويجعل السنة القمرية (٣٥٤) يوماً، وحين نقسّم هذا الرقم على (١٢) شهراً يظهر عدد أيام الشهر القمري كاسرا وحدة العدّ اليوم، كالآتي:

$$٣٥٤ \div ١٢ = ٢٩,٥ \text{ يوماً} \dots\dots\dots$$

ولا يتعامل العقل مجرد مع الكسور الصعبة الإدراك التي تكسر وحدة العدّ اليوم، أو تكسر وحدة الشهر؛ لذلك يزيد نصف اليوم (٢٩,٥ + ٠,٥ = ٣٠ يوماً) كحساب للأشهر الزوجية الستة، ويحذف نصفاً (٢٩,٥ - ٥ = ٢٩ يوماً) كحساب للأشهر الفردية الستة الأخرى من العام، وبهذا يُسهّل العقل مجرد عملية الحساب من دون الإخلال بدقته الرياضية؛ لأنه أضاف (٣) أيام، أو ستة أنصاف اليوم، وأنقص (٣) من شيء واحد فيكون مجموع الزيادة والنقصان صِفراً، ذلك الصفر الذي لا يعدّ لشيء؛ لأنه حلّ مشكلة عدم المساس بوحد العدّ (اليوم).

ولهذا الريضنة جذور في القرآن الكريم^(٩)، استنبطها العقل الحديث وسمّاها بـ(الإعجاز العددي) نظراً لدقّتها واطراد طبيعتها العجيبة بما يتلاءم مع مبدأ العقل مجرد وهو مبدأ ثبوت هوية الأشياء واطراد طبيعتها عبر مرور الزمن، وذلك بإحصاء وحدات العدّ الثابتة للسنة (الشهر واليوم)، فلوحظ أنّ عدد ورود مفردة (شهر) بصيغة المفرد في القرآن هو (١٢) مرة، وهو مساوٍ لعدد شهور السنة القمرية والشمسية ككتابت عدّ بقطعها الأبراج السماوية الاثني عشر، ووُجد عدد ورودات مفردة (يوم) هو (٣٦٥) مرة، وهو مساوٍ لعدد أيام السنة الشمسية البسيطة، ذلك أنّ دوران الشمس حول الأرض الظاهري خلال اثنتي عشرة دورة قمرية في الواقع المحسوس يبلغ (٣٦٥,٢٤٢٢) يوماً، وقد ريضنها العقل مجرد، على مرحلتين:

المرحلة الأولى: السنة الشمسية البسيطة المطردة = ٣٦٥ يوماً
 المرحلة الثانية: السنة الشمسية الكبيسة الشاذة: ٣٦٦ يوماً.....

وذلك بحذف الكسور العشرية (٠,٢٤٢٢) الأقلّ من ربع اليوم؛ لأنها تكسر وحدة العدّ (اليوم) وتسبب إرباكاً في الإدراك العام، ثم قام العقل مجرد بتقريب هذا الكسر إلى أقرب ربع اليوم بإضافة عدد متمم

للربع كالاتي:

$$0,25 = 0,0078 + 0,2422 \text{ يوم.....}$$

وهذا التقريب بإضافة الرقم المتمم (0,0078) يجعل التقويم الشمسي كريضنة للواقع متقدِّمًا على الواقع المحسوس بمدة تسعة أيام تقريبًا بعد مرور 1200 عامٍ شمسيٍّ يعارض فيها حاسوب العقل المصالح الدنيوية والدينية بأكثر من تسعة أيام، كالاتي:

$$0,0078 \times 1200 = 9,3600 \text{ يوم.....}$$

هكذا لحظ البابا جريجوري الثالث عشر 13-Gregory عام 1583م، أنّ التقويم الميلادي الشمسي كرياضيات تبسيطية للواقع تتقدّم على الواقع الحسيّ التجريبي، فأمر أن تُحذف عشرة أيام من تلك السنة من شهر تشرين الأول أكتوبر (العاشر)، فأعقب اليوم الرابع منه مباشرة اليوم الخامس عشر^(١١). ولتجنب تكرار غلط عقلي رياضي آخر من هذا النوع أمر البابا أن تُكبس السنة القابل رقمها الأولان من جهة الشمالي القسمة على (4) بلا باقٍ، فتُصبح السنة الكبيسة كبس نقصان لا كبس زيادة، وهكذا كانت سنة 1600م كبيسة Leap year؛ لأنّ (4=4÷16)؛ كذلك سنة 2,000م كبيسة، وستكون سنة 2,400م كبيسة أيضًا، أما سنة 1700، و1800، و1900 فلا تُعدّ كبيسة^(١١).

كذلك يُكبس الفائض المحذوف بعد الكسر لأيام السنة القمرية التي يُبسّطها العقل المجرّد بحذف ثلث اليوم لتُصبح السنة القمرية البسيطة (354) يومًا، و((إذا اجتمع في هذه الأجزاء أكثر من نصف، عدّوه يومًا كاملاً، وتكون السنة القمرية حينئذٍ كبيسة، وتتكون أيامها [355] ثلاثمائة وخمسة وخمسين يومًا))^(١٢)، بدلا من (354) يوما في السنة القمرية البسيطة المطردة كريضنة للعقل المجرّد، وذلك بعد مرور كلّ ثلاث سنوات قمرية.

وبهذا نحصل على نسيئين للتقويم الشمسي، والنسيء يُسمّى بالمصطلح الغربي (كبسًا)، كالاتي:
أولهما: نسيء أو كبس زيادة؛ لأنّ التقويم كريضنة للواقع يتأخّر عن الواقع المعيش بربع اليوم، فتُصبح السنة الشمسية الكبيسة 366 يومًا كحساب للعقل المجرّد الذي يجمع أربعة أرباع اليوم فتُصبح يومًا كاملاً

يُضيفها إلى أيام السنة البسيطة المطردة الأيام ٣٦٥ يوماً، بعد مرور ثلاثة أعوام والدخول في السنة الرابعة يُضاف إلى الشهر الثاني شباط فبراير، بحسب ما تقدّم.

ثانيهما: نسيء أو كبس إنقاص (١٠) أيام بعد مرور ١٢٠٠ سنة؛ لأنّ التقويم كرياضة للواقع يُصبح متقدِّماً على الواقع التجريبي بأكثر من تسعة أيام وثلاث اليوم تقريبا، فيُنقَصُ عشرة أيام من التقويم بعد مرور ١٢٠٠ سنة.

وإذا عالجتا كبس الانقاص بمعادلة تُطبَّق دورياً، تُصحِّح خطأ النقصان الضئيل لم يبقَ إلا كبس الزيادة كإطاراد رياضي عقلي مجرد في طبيعة هذا الإجراء، وهو تعبير بسيط عن رياضة الواقع التي تُسهّل الإدراك العام؛ لذلك قيل: ((لا شيء في الوجود مستقل بذاته اسمه شعبان أو نيسان، أو يوم الاثنين والأحد، وإتّما الموجود أرض تدور حول نفسها في اليوم وليلته دورة كاملة، فجراً [عقل] الإنسان هذه الدورة إلى ٢٤ جزءاً، واخترع الساعة كرمز إلى دوران الأرض بالثواني والدقائق والساعات المُشار إليها بانتقال العقرب من رقم إلى رقم، ثمّ أطلق على هذه العملية اسم الزمان الذي قسّمه إلى أيام وشهور... بحيث نعرف منها أنّ هذا متقدِّمٌ وذاك متأخّر، وأنّ بينهما هو الحاضر))^(١٣).

٢- عمل القلب التدبري:

إنّ عمل القلب بوصفه ملكة إدراك تتدبر عواقب الأمور وغاياتها، يكمن في شعوره بما لا يشعر به ذكاء حاسوب العقل المجرد الدقيق السريع الحساب، فيبتهج القلب ويحزن أو يطمئن ويقلق على أساس نفعي، عند شعوره بالمنافع والمضار للنتائج المحسوبة رياضياً حساباً دقيقاً، فيستعمل آليته القانونية العامة الآتية في الاستدلال الإبداعي: (القلب يقرُّ بما أقرّه العقل المجرد، وينقض النتائج الرياضية للعقل، مقدِّماً مسوّغاتٍ منطقية أو حسية تجريبية أو أخلاقية تسوّغ حقّ النقض أو النقد الفلسفي)^(١٤)، تبعاً لشعوره بمبدأ صيرورة الواقع الحسيّ، أي تحوّل هويته من حال إلى أخرى عبر مرور الزمن، وبهذا يجمع القلب بين المبدأين المتناقضين: (الثبوت × الصيرورة) جنباً إلى جنب في وقت إيقاعي شبه واحد، كما يجمع القلب البيولوجي المتناقضين: (الانبساط + الانقباض)، بإيقاع ويكوّن منهما الحياة من جمع موت انبساطه

وحده، وموت انقباضه وحده ومجموعهما (٢موت) من منظور حاسوب العقل المجرد الذي يُحلّل الظواهر المعقدة فيقطع أوصال الظواهر ليدرك عناصرها كلاً على انفراد.

أما عمل القلب إلى جوار العقل المجرد فإنه يُبيّن فضيلة المنطق العلائقي الذي يُصحح من أخطاء المنطق الصوري الذي يفصل فيه العقل المجرد بعض عناصر الأشياء المتعاقبة عن بعض، ويُحطم علاقاتها بوضع الحدود بينها عن طريق التعريفات الحديّة لتُصبح واضحة ومفهومة لديه، ثمّ يزيدّها وضوحاً بوضع تسميات مختلفة لعناصر الظاهرة المعزول بعضها عن بعض، وهذا العمل التحليلي الرائع يتضمّن خطأ يتفاداه القلب التدبري الذي يُركّب ما حلّله العقل المجرد؛ لذلك قيل: ((إننا بقدر ما نعزل الأشياء وندرسها بشكل أحادي بقدر ما نرتكب من الأخطاء))^(١٥).

وإذا كانت حسابات العقل المجرد الرياضية عقيمة غير إبداعية؛ لأنّها تمثل تحصيل الحاصل، فيما يُسمّى بالقضايا التحليلية: $(٨ = ١ + ٧ = ٦ + ٢ = ٥ + ٣ ... الخ)$ ، أي أنّ النتائج موجودة ضمناً في المقدمات الكلية، فإنّ حسابات القلب التدبرية إبداعية نقدية، ومثال ذلك يستقرى العقل المجرد ظاهرة (فناء الإنسان) فيأتي بالمقدمة الكلية الكبرى ويقيس عليها كالاتي:

كل إنسان فإن.....

وأنت = إنسان.....

وبجمع المعادلتين وحذف العامل المتشابه (إنسان) من طرفي المعادلة الجديدة فتظهر النتيجة الدقيقة الحتمية، المتضمنة في المقدمة الكبرى: (أنت = فان) لا محالة كتنبؤ في المستقبل لا مفرّ منه، وابتاع قاعدة الإثبات وهي: (إثبات صفة جوهرية لشيء يعني نفي كثير من الصفات عنه)، نحصل على: (أنت فان، ولا أمل في إحيائك ثانية في المستقبل)، وهذا يعني أنّ حاسوب العقل المجرد يُميتنا ولا يقدم لنا أيّ عزاء حين يبرهن على موتنا الحتمي.

وباستعمال تقنية القلب التدبري الاستدلالية، يقرّ القلب بنتيجة العقل المجرد وينقضها قائلاً بإمكان إحياء الموتى، أو باحتمال ظهور إنسان لا يفنى مستقبلاً، ويقدم مسوغاً حسيّاً تجريبياً أو منطقيّاً أو أخلاقياً

لإمكان إحياء الأموات، وذلك بنقد المقدمة الكلية للاستقراء العقلي المجرد، بأن ذلك الاستقراء غير تام؛ لاستحالة استقراء العقل للمستقبل الذي يُصبح بالنقد القلبيّ مجالا لتحقق للممكنات^(١٦)، التي يؤيدها منطق التعقل الحسيّ الذي يعمل بمبدأ صيرورة هوية الأشياء عبر مرور الزمن، أي لا شيء ثابت في الواقع التجريبي المحسوس؛ فضلاً عن الدليل الأخلاقي المُعزّز بالإيمان بقوى خلافة خيرة يستدل عليها القلب بالاستدلال العام الذي يشير إلى (نظرية الجدل) بأنّ نهاية الحياة إذا كانت الموت الحتمي بلا أمل بالحياة ثانية، فإنّها تجعل الحياة ضرباً من العبث الذي لا يليق بمقام الخالق المُبدع ولا يلبي طموح المخلوق، وهو ما يسوّغ حقّ النقض أو النقد القلبي الفلسفي بأدلة موضوعية، تجعل التسليم بحقّ الاستدلال العقلي الخاص وحده وهو (القياس المنطقي) ضرباً من الخطأ، إذ يجعلنا كـ((الدجاجة التي توقّعت أن يُطعمها صاحبها؛ لأنّه جاء إليها بالطعام عشرات المرات من قبل، في حين أنّ صاحبها قد جاء اليوم ليذبحها))^(١٧).

وملكة القلب تُعنى بالمعاني التدبريّة الخفيّة نصف المجردة المضمرة في العلامة اللغوية، مقابل معناها العقلي المجرد المفهومي كصورة ثابتة مطبوعة على طين المخ. وتظهر المعاني التدبرية عند تدبّر عواقب الأمور وغاياتها التي ستنتهي إليها؛ لذلك يكون موضوعها: (ما ينبغي أن يكون عليه الشيء)؛ لأنّه محكوم عليه بالتحوّل من حال خيرة إلى أخرى أخيرَ منها عبر مرور الزمن، منبّها إلى فكرة (التاريخ) الجوهرية وهي (التطور) عبر مرور الزمن. بمعنى أنّ القلب التدبري ليس كالعقل المجرد وليس كالتعقل الحسيّ اللذين يفكران في: (ما هو كائن أو موجود فعلاً) بغضّ النظر عن التفكير في تحوّل الأشياء المدروسة عبر مرور الزمن؛ لذلك يُوصل القلب ما فصله العقل المجرد، فيلغي - إلغاءً تكاملياً - هذا التقسيم التعسّفي المهم ويُعيدُ الأشياء إلى طبيعتها المتعاقبة لتعمل كنظامٍ يقيس قيم العناصر بما تقدّمه من وظائف نفعية، بمقياسه الخاص: (وظيفة العنصر × موقعه داخل النظام)^(١٨).

وإذا كان العقل المجرد يحكم على القضايا المجردة في مجال اللغة بمقياسه الثنائي القيمة: (أبيض × أسود) ولا ثالث بينهما، فإنّ القلب يحكم على القضايا غير من المجردة من المادة كلياً بالاستعانة

بالمقياس العملي النفعي المئوي الذي نقيس به درجة طلبه العلم في المدارس، ولكن يقسمه بلغته العاطفية على ثلاثة أقسام هي:

أ- منافع أنانية لذية: تظهر في حبّ الذات أكثر من حبّ الغير، وتُمثل ميلَ الكائن الحيّ نحو الغذاء والجنس، ولولا هذا الميل الأناني لماتَ كلّ كائن حيّ. ويُقيّم القلب هذه درجة من المنافع بـ(المقبول) (٥٠-٥٩%)، لكي نميّز أنفسنا من الحيوانات، التي تمثّل لها هذه المنافع اللذية درجة الامتياز.

ب - منافع اجتماعية إنسانية عامة: وتظهر بقانون: (حبّ المساواة بين الأفراد)، وذلك في حبّ الأم لأولادها بالتساوي في جميع الحيوانات والإنسان أيضا، وينفرد الإنسان في رقيّه حين يجعل من جميع أفراد المجتمع البشري بمنزلة أولاده، وذلك قول رسول الله (ص): ((لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه))^(١٩)، ودرجة هذه المنافع من جيد إلى جيد جدًا (٧٠-٨٩%).

ج - منافع ما وراء مبدأ اللذة: وتُعرف بحبّ الفرد لغيره أكثر من حبّه لنفسه، وتُسمّى هذه الظاهرة بـ(الأثرة)، وتظهر في الحيوانات والإنسان بتضحية الأم بنفسها من أجل حماية أفراسها، وينفرد الإنسان في رقيّه الأخلاقي حين يُضحّي بنفسه من أجل الغرباء، ويعدّهم بمنزلة أولاده، وتلك هي درجة الامتياز (٩٠-٩٩%) وتخصّ الأنبياء والشهداء والثّوار كمثّل واقعية.

وقصارى القول إنّ الإدراك العقليّ المجرد والقلبيّ التدبريّ النفعيّ يمثلان نظام الإدراك الداخلي للإنسان، أمّا الإدراك الحسيّ فيمثل الإدراك الخارجي الموضوعي المستقل عن تدخّل نظام الإدراك الداخلي المشوب بالذاتية؛ لذلك يمثل الإدراك الحسيّ حكّمًا أو قاضيًا يفضّ الصراع الاستدلالي بين ملكتي نظام الإدراك الداخلي، ذلك النظام المتكامل الوظائف الذي يجمع بين وظيفة العقل المجرد صانع المفاهيم، والقلب التدبريّ صانع الثورات^(٢٠).

٣- عمل التعقل الحسيّ:

أما مثال التعقل الحسيّ التجريبيّ، فيما يخصّ موضوع البحث فإنّ الحواس ترصد مدّة حركة الأرض حول الشمس خلال سنة، أو ترصد حركة الشمس الظاهرية حول الأرض التي تمسحُ فيها الشمسُ فصولَ السنة

الأربعة كلها بأنها تساوي ٣٦٥,٢٤٢٢ يوماً، ولا تساوي (٣٦٥,٢٥) إلا على وجه التقريب كخطأ رياضي تبسيطي مهم؛ لأن ربع اليوم في الحقيقة الحسية التجريبية ليس ربعاً تماماً، وإنما هو ريشنة العقل المجرد للواقع الذي يمثل أقل من الربع، ولا يُصبح ربعاً إلا بإضافة متمم الربع وهو (٠,٠٠٧٨)، بحسب ما أوضحناه سابقاً

وهكذا يفيد القلب من دقة الملاحظات العلمية التجريبية المحسوسة في رصد الواقع فيشعر بعد مرور زمن قصير أو طويل بأن التقويم الشمسي الميلادي كرياضيات للعقل، يمثل تزييفاً للحقائق التي تجعل المنافع الدنيوية متعارضة مع المنافع الدينية. وهو ما شَعَرَ به قلب البابا جريجوري الثالث عشر فقام بكبس السنة الشمسية كبس نقصان من النوع الثاني الموضح سابقاً، ليُصبح التقويم الشمسي الميلادي مرتبباً ثانيةً بالتقويم القمري المستعمل لحساب تاريخ (عيد الفصح) الذي أُرِجِعَ مرةً أخرى إلى موضعه الأول كأقرب (يوم أحد) إلى البدر الذي يأتي بعد الاعتدال الربيعي Vernal Equinox، بمعنى أنه يتضمّن عنصرين متكاملين يربطان الدين بالدنيا، وهما:

أولاً: عنصر دنيوي وهو العنصر الشمسي، إذ يأتي عيد الفصح بعد (٢١) آذار (مارس) الشهر الثالث وقت الاعتدال الربيعي الذي تتساوى فيه ساعات الليل والنهار.

ثانياً: عنصر ديني، وهو العنصر القمري، إذ يأتي عيد الفصح في (١٤) من الشهر القمري^(٢١). بمعنى أن قلب البابا الإبداعي بقى مؤكّداً على أن عيد الفصح أو (عيد قيامة المسيح)^(٢٢) كان في وقت الاعتدال الربيعي من السنة الشمسية في الواقع، ولا ينبغي أن يزحف عشرة أيام باتجاه الشتاء البارد، إذ تتفتح الزهور كعلامات طبيعية في ٢١ / ٣، أما التقويم فلم يزل يقرأ متأخراً ٣ / ١١.

كذلك كان عيد الأضحى العربي قبل الإسلام، وبعد البعثة حتى وفاة الرسول (ص) وعيد الفطر أيضاً بعد الهجرة حتى وفاة الرسول (ص) مرتبطين بموسم الاعتدال الخريفي والأيام القلائل من بداية شتاء المناطق الصحراوية الحارة صيفاً، وهذا الظرف هو الذي يكثر فيه نشاط الكائنات الحية هناك، ومنها النشاط البشري الزراعي والتجاري، بما يضمن تكوين مركّب (حسيّ قلبي) تدبري تكاملي لا تتعارض فيه المنافع

الدينية مع المنافع الدنيوية عند الشعوب المتحضرة، ذلك أن ((كلّ تخلٍ عن المعرفة (العقلانية/ الحسية التجريبية) يقود البشر إلى الموت جوعاً، وكلّ تخلٍ عن اعتقاداتهم [القلبية] الأساسية يؤدي إلى تفكك المجتمع))^(٢٣).

ولو تَرَكَ نظامُ الإدراك الداخلي البشري (العقلي/ القلبي) التقويمين من دون إجراء النسيء أو الكبس الذي يُصحح التقويم القمري على الشمسي لربط المصالح الدينية بالدنيوية معاً، فإنّ الساعة القمرية ستوافق الساعة المنضبطة بعد مرور (٣٢) عاماً تقريباً، إذ يتراكم النسيء بزيادة شهر كلّ (٣٢) شهراً، فتُزاد سنة كاملة على عمر الأشياء المقاسة بها، فمن كان عمره (٣٢) عاماً شمسياً يكون عمره (٣٣) عاماً قمرياً. وقد كانت العرب تُصحح الساعة القمرية السريعة الحساب لعمر الأشياء، على الساعة الشمسية المتفككة مع المصالح الدنيوية لانضباطها إلى حدٍّ ما، على وفق حركات النجوم البعيدة المعروفة بينات نعش Pleiades^(٢٤) والنجوم الأخرى الثابتة نسبياً التي يرسم لها العقل المجرد صوراً ثابتة في الذهن سمّاها بـ(الأبراج الاثني عشر).

وقد جعل العربُ قبل الإسلام بداية السنة القمرية بشهر (صفر الأول) المسمّى لاحقاً بالمرحّم، كيلا يُعارض ترتيبُ أرقام شهور السنة القمرية ترتيبَ أرقام شهور السنة الشمسية المتفقان مع ترتيب أرقام الأبراج الاثني عشر، وقد أبقى العقل الإسلامي المجرد شهر مرحّم كمنقطة بدء للسنة الهجرية، على الرغم من أنّ هجرة النبي (ص) لم تكن في هذا الشهر، إذ كانت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، أي في الشهر الثالث من السنة الشمسية المسمّى بـ(آذار) أو (مارس)، وهو أول أشهر فصل الربيع، وليست في الشهر السابع الشمسي تموز (يوليو) الحار، كما زعم بعض الغربيين^(٢٥).

وينبغي ملاحظة أنّ تقصير الساعة القمرية بمعدل (١١) يوماً كلّ عام كرياضيات تبسيطية للعقل المجرد، لا يمكن أن يعدّ مضبوطاً بالقياس إلى الواقع العملي التجريبي المحسوس؛ لذلك يكون من الضروري أن نحسب هذا التغيّر بـ(١٠) أيام أو نحسبه بـ(١٢) يوماً في حالات أخرى على وفق تبدّلات القمر ضمن السنة الشمسية، وهو ما يُولد صعوبات تخصّ المزارعين؛ لذلك يُستعمل التقويم الشمسي الآن في الاقطار

الإسلامية الأفريقية الشرقية^(٢٦)، بسبب ترك نسيء التقويم القمري بعد وفاة الرسول (ص). وفيما يأتي جدولٌ يُبيِّن التوافق بين التقويمين القمري والشمسي، بحسب التصحيح المستمر، لربط المصالح الدينية بالدنيوية المثقفة مع فرضية البحث، وهو ما كان معمولاً به عند العرب قبل الإسلام وبعد البعثة حتى وفاة الرسول (ص):

ت	الشهر القمري	الشهر الشمسي العربي	الشهر الشمسي الانكليزي	التعريب
	مُحَرَّم	كانون الثاني	January	يناير
	صُفْر	شباط	February	فبراير
	ربيع الأول	آذار	March	مارس
	ربيع الآخر	نيسان	April	أبريل
	جُمادى الأولى	مايس	May	مايو
	جُمادى الآخرة	حزيران	June	يونيو
	رجب	تموز	July	يوليو
	شعبان	آب	August	أغسطس
	رمضان	أيلول	September	سبتمبر
	شوال	تشرين الأول	October	أكتوبر
	ذو القعدة	تشرين الثاني	November	نوفمبر
	ذو الحجة	كانون الأول	December	ديسمبر

وتجدر الإشارة إلى أنّ التوافق أو التواطؤ بين أشهر التقويمين غير متطابق تماماً بالأيام، وإنّما يحصل

فيه صعودٌ ونزولٌ بسبب زيادة شهر نسيء أو كبيس تصحيحي، فيتقدّم التقويم القمري على الشمسي بمدة (٧) سبعة أيام، ثم يتأخّر في العام القابل (١١) يوماً، ويُعالج تقدّم التقويم بمعادلات عقلية رياضية. المهم هو أننا نلاحظ نظاماً (عقلياً/قلبيّاً) يجعل الصيام في شهر الاعتدال الخريفي أيلول سبتمبر دائماً، الذي تتساوى فيه ساعات النهار مع ساعات الليل، وهنا تكون لا علاقة لاسم (رمضان) بالرمض بمعنى الحرّ الشديد، بدليل هطول المطر فيه المُسمّى بـ(الرّمضيّ) قال ابن منظور (ت ٧١١هـ): ((الرّمضيّ من السحاب والمطر: ما كان في آخر الصيف وأول الخريف، وإتّما سُمّي رمضيّاً.. [لأنّه] يجد الأرض حارة))^(٢٧).

كذلك يجعل هذا النظام العربي الإسلامي حتى وفاة النبي (ص)، موسم الحجّ الأصغر (العُمرة) يحلّ دائماً في شهري الخريف اللاحقين لرمضان (شوال، وذو القعدة)، ويجعل الحجّ الأكبر بداية أول شهر شتوي، وهو ذو الحجة، اعتماداً على تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾^(٢٨)، أي معروفات عند الناس، وهي: ((شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة))^(٢٩).

وهذا يعني أنّ شوالاً كان يمثل فترة الاستعداد النفسي الحضاري لاستقبال الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)، التي تقابل مع شوال: شهري الخريف: العاشر والحادي عشر، وأول أشهر الشتاء: الثاني عشر، فضلاً عن الأول من السنة الشمسية، وهو ثاني أشهر الشتاء؛ لذلك يمكن أن نؤكّد الرؤية الحضارية للعرب قبل الإسلام التي أقرّها الإسلام كسُنّة نبوية بجعل أشهر الاعتدال الخريفي بما فيها شهر رمضان وشهرين من أشهر الشتاء: (ذو الحجة والمحرم) الثاني عشر والأول الشمسيان، أشهر سموّ روجي ينتشر فيها الأمن والسلام والمحبة بين المجتمع العربي قبل الإسلام سابقاً والإسلامي لاحقاً ليتفرغ المجتمع لتنمية رقيه الديني والأخلاقي واقتصاده بالرعي والزراعة والتجارة بدلاً من اقتصاد الحرب الوحشية، فضلاً عن بسط السلام نفسه على سائر المخلوقات الأخرى ونظامها البيئي.

وتتقضي الأشهر الحُرْم المتصلة عند حلول آخر شهر شتوي، وهو (صفر) الموافق للشهر الثاني الشمسي، شباط (فبراير)، ويحلّ بعد ذلك موسم الربيع في شهري ربيع الأول وربيع الآخر اللذين يقابلان

شهرى الربيع: آذار ونيسان (مارس وابريل)؛ الثالث والرابع من السنة الشمسية، وهما شهران تنتعش فيهما النباتات والحيوانات مرةً أخرى.

أما جُمادى الأولى وجُمادى الآخرة، فلا علاقة لاسميها بانجماد الماء، بحسب ما تُشير إلى ذلك عددٌ من المعاجم العربية^(٣٠)؛ لأنَّ المعاجم العربية الأخرى حددت ترتيبهما بالشهر الخامس مايس (مايو)، والشهر السادس حزيران (يونيو)، فهُما: ((جُمادى خمسة: الأولى، وجُمادى ستة، الآخرة))^(٣١)؛ لذلك يمكن تفسير اسميهما بانجماد التربة بسبب توقف النباتات الموسمية عن النمو، أو انجماد الحبوب، أي تصلبها ويبسها متهيأة للحصاد، بدليل أنَّ أشهر الربيع يأتي بعدها أشهرُ صيفٍ حارة تجفُّ التربة والحبوب ولا يأتي بعدها أشهرُ شتاءٍ يجمد فيها الماء!!.

هذه الأدلة الطبيعية تثبت تطابق معاني تسمية الشهور القمرية مع أسمائها المخصصة لها بدقّة بما يطابق واقع الفصول الأربعة المتصلة بالمنافع الدنيوية. وقد حافظ العرب قبل الإسلام على هذه المعاني القلبية للأشهر: (الربيعان والجمادان) التي تتوافق عن طريق إجراء عملية النسيء التصحيحي مع معاني الأشهر الشمسية، رعاية لمصالحهم الدنيوية التي كانوا يعطونها الأولوية، حتى لو انتهكت مضمون تسمية الشهور القمرية الخاصة بعبادة الحجّ، بما يسمّى بـ(نسيء التأخير)، ويعنون به تأخير نشاط الحج من شهر قمري إلى الشهر الذي يليه في كل دورة نسيء للتقويم القمري، والغاية هي ((تثبيت الأزمنة، وجعل الحج في موسم ثابت معين، فلا يكون في شتاء مرة، وفي صيف مرة أخرى، وفي ربيع مرة، وفي خريف مرة أخرى، بجعل السنة سنة(قمريّة/شمسية)...))^(٣٢)، وتثبيت الأزمنة يعني توافق الربيعان والجمادان مع واقع موسمي الإنبات والحصاد.

وحين هاجر النبي (ص) بلغت نوبة النسيء شعبانَ، فحجّ الجاهليون فيه، لكنّ حجة النبي (ص)، أي حجة الوداع^(٣٣)، تطابقت فيها ممارسة الحج الدينية مع اسم ذي الحجة، وذلك بعد مرور (٣٢) عامًا قمريًا، عاصرها النبي (ص) ووعاها، وقد عاصر منها أربع دورات تصحيحية ونصف الدورة بعد الهجرة. ويبدو أنّ نسيء الإسلام كان يُجرى في (صُفر) أي في الشهر الثاني من السنة القمرية/ الشمسية، أو في

(الربيعين أو في الجُمادين)، ولولا وجود هذا الإجراء بعد البعثة حتى وفاة النبي (ص)، لما توافقت أشهر الوقائع الإسلامية القمرية مع ما يقابلها من الأشهر الشمسية، وأمثلة ذلك مولد النبي (ص)، الذي كان يوم الأثنين ٩ أو ١٢^(٣٤)، أو ١٧ من ربيع الأول عام الفيل الموافق^(٣٥) - بحسب تاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ) - لشهر نيسان (أبريل)، وهو الشهر الرابع من السنة الشمسية الميلادية عام (٥٧٠م).
 وشهر ربيع الأول يوافق شهر آذار (مارس) الثالث الشمسي وليس شهر نيسان (أبريل) الرابع، ما يدل على وجود خطأ في تقدّم شهر قمري على التقويم الشمسي في أرخنة هذه الواقعة التي لم تكن مهمّة أيضاً في حينها عند المجتمع العربي في مكّة.

ويشير اليعقوبي أيضاً إلى وقت قدوم رسول الله (ص) إلى المدينة يوم الأثنين الثامن من شهر ربيع الأول، أو يوم الثاني عشر من ربيع الأول الموافق لشهور العجم الشهر الرابع الشمسي نيسان^(٣٦) (أبريل)، الذي يقابل شهر ربيع الآخر الرابع القمري، ولا يوافق (نيسان)، ما يدل على ظهور نفس خطأ في تقدّم شهر قمري على التقويم الشمسي في أرخنة هذه الواقعة، بحسب نظام الجدول السابق.

ولعلّ سبب هذا التفاوت المُكرر البسيط في حادثتي ميلاد الرسول (ص) ومقدمه إلى المدينة، يرجع إلى أخطاء تذكر الوقائع الماضية التي لا يشعر المجتمع بأهميتها إلا لاحقاً، أو يرجع إلى تداخل الشهر القمري، ما بين شهر شمسي ما والذي يليه، ولاسيما إذا كانت الحادثة التاريخية بعد منتصف الشهر. أما الوقائع التاريخية المؤثرة والمهمّة بعد الهجرة فإنّها تتطابق كلياً فيما بين أشهرها القمرية والشمسية، ومثال ذلك وقت الصيام شمسياً، الذي فرض بعد مقدم النبي إلى المدينة بـ(سنة وخمسة أشهر، وقيل بسنة ونصف [سنة أشهر])^(٣٧)، فإنّه كانّ يحلّ في شهر أيلول (سبتمبر) شهر الاعتدال الخريفي، يُعرف ذلك من إضافة ما زاد على عدد أشهر السنة إلى رقم شهر ربيع الأول الثالث القمري الذي قدم به النبي إلى المدينة، كما يأتي:

ربيع الأول ٣ + ٥ اشهر = ٨، أي في شهر آب الثامن الميلادي.....(١)

ربيع الأول ٣ + ٦ اشهر = ٩، أي في شهر أيلول التاسع الميلادي.....(٢)

والراجح هو أنّ الصيام فُرِضَ بعد مقدم النبي (ص) بسنة وستة أشهر بحسب المعادلة (٢)، بدليل أنّ واقعة (بدر الكبرى) حدثت في شهر الصيام ((يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان بعد مقدمه (ص) بثمانية عشر شهراً))^(٣٨)، أي بعد سنة وستة أشهر أيضاً، في نهاية رحلة قريش إلى الشام، المسماة في القرآن الكريم بـ(رحلة الصيف)، التي لا بدّ أنّها تنتهي بانتهاء أشهر الصيف وحلول الاعتدال الخريفي، وهو يوافق للشهر التاسع، وهو موسم نضج التمور ورخص أثمانها، وقد بقي هذا التوقيت الشمسي ميقاتا لصيام النبي (ص) والصحابة بعد فرض الصيام حتى وفاته، لوجود روايات كثيرة^(٣٩) تشير إلى إفطار النبي على (الرطب) أو التمر الذي يكثر في هذا الموسم ويهبط سعره.

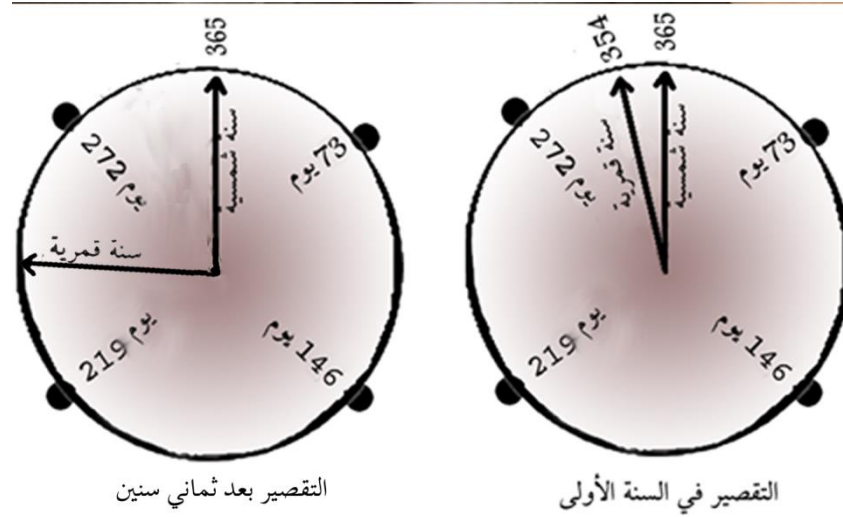
أمّا تاريخ غزوة الخندق عند اليعقوبي فإنّها حدثت بعد ((مقدم النبي (ص) إلى المدينة بخمسة وخمسين شهراً))^(٤٠). ويوافق هذا التاريخ بالنسبة إلى مقدم الرسول إلى المدينة المؤرخ في ربيع الأول وليس في ربيع الثاني، يوافق (شوالاً = تشرين الأول أكتوبر الشهر العاشر) وهو ثاني أشهر الخريف بحسب الترجيح السابق، وهذا التاريخ معتمداً أيضاً عند ابن هشام (ت ٢١٣هـ)^(٤١) في سيرته، التي بينت برودة الجو نهاية حصار قريش للمدينة، الذي ربّما طال بسبب عزيمة القضاء المبرم على الإسلام ليمتدّ باتجاه برودة ذي القعدة الموافق للشهر الحادي عشر الشمسي، وذلك قوله: ((فما قام رجل من القوم من شدّة الخوف وشدّة الجوع وشدّة البرد))^(٤٢). وتابعهما في وصف ذلك البرد أيضاً ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)^(٤٣).

وكان هناك تطابق بين ترتيب الأشهر القمرية والشمسية في وفاة الرسول (ص) ((يوم الاثنين ليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ومن شهور العجم آذار))^(٤٤)، الثالث الشمسي المقابل للثالث القمري.

وتلك الوقائع التي تتطابق فيها المنافع الدينية مع المنافع الدنيوية لا تتطابق بهذه الوتيرة، إلا بافتراض إقرار النبي (ص) بأهمية بقاء نسيء التقويم القمري الذي ربّما كان يُؤخّر إلى الشهر الثاني (صفر) من السنة القمرية، بدلاً من النسيء الجاهلي الذي كان يُجرى في شهر محرّم رأس السنة القمرية، ما يفكك الأشهر الحُرُم المتصلة عاماً، ويوصلها في العامين التاليين، وهو ما سيتضح تفصيله في المبحثين القادمين.

المبحث الأول: نسيء التقويم القمري قبل الإسلام:

الساعة القمرية سريعة العدِّ لعمر الأشياء، إذ تُكمل سنتها بعد مرور وحدة العدِّ (اليوم) بمقدار (٣٥٤) يوماً تقريباً، بالقياس إلى الساعة الشمسية المنضبطة نسبياً، وهي أبطأ من القمرية في قياس عمر الأشياء؛ لأنها تُكمل سنتها بعد مرور (٣٦٥) يوماً تقريباً، ما يجعل الساعة القمرية تقصّر في قياس الأعمار كلّ عام بمقدار (١١) يوماً، أي بأكثر من ثلث ثابت العدِّ الآخر وهو (الشهر). بحسب ما هو موضّح في المخطط الآتي:



وبعد مرور عام قمريّ ثانٍ يزيد التقصير على (٢٢) يوماً؛ أي بمقدار أكثر من ثلثي الشهر القمري البالغ معدل أيامه (٢٩,٥) يوماً؛ ولغرض التواطؤ أو التوافق بين الساعتين يُزاد شهرٌ كبيرٌ قمريّ لتعويض النقص في الساعة القمرية، فتكون السنة القمرية النسيئية مؤلفة من ((ثلاثة عشر شهراً [توهّماً]، وأولها المحرم المحلّل، ثم المحرم الذي هو في الحقيقة صفر...))^(٤٥)، عند مرور عامين قمريين والدخول في العام الثالث كدورة كبس تصحيحية على الساعة الشمسية.

إنّ شهر النسيء أو الكبيس المُزاد لأغراض تصحيحية لا ينتهك وحدة العدّ (السنة = ١٢ شهراً) لكلا التقويمين؛ لأنّ وحدة العدّ هذه متّصلة بالأبراج الاثني عشر الثابتة؛ لذلك لم تشر أكثر المصادر التاريخية العربية إلى النسيء بمعنى (الزيادة)، وإنّما أشارت إليه بمعنى (التأخير)، أي تأخير النشاط (الديني/ الاجتماعي) من شهر ما إلى الذي يليه في كلّ سنة تصحيحٍ للتقويم القمري على التقويم الشمسي، ما يؤدي إلى انتهاك معنى اسم (ذي الحجة) في الجاهلية، واسمي: (ذي الحجة والمحرّم) في الإسلام، فضلاً عن اسم (رمضان) كشهر خُصّص لعبادة الصيام التي لا تقع في الشتاء ولا في الصيف، وإنّما بين بين، وذلك في الانقلاب الخريفي في الشهر التاسع الشمسي أيلول سبتمبر.

وعلى هذا الأساس يمكن وضع تعريفين لنسيء ما قبل الإسلام، اعتماداً على تحليل ابن منظور (ت ٧١١هـ)^(٤٦) في فهم معنى النسيء بأنّه يعني الزيادة تارة، ويعني التأخير تارة أخرى، وتابعه في ذلك أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) وذلك قوله: ((فليس النسيء مراداً للزيادة بل قد يكون منفرداً عنها في بعض المواضع))^(٤٧). وهذا في نظرنا يمثّل خطأً في تقدير إدراك العقل القديم؛ لأنّه لم يستطع أن يفكر في متغيرين في وقت واحد بينهما علاقة عكسية، بمعنى زيادة شيء تؤدي إلى نقصان شيء آخر، كما هو ملحوظ في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ﴾^(٤٨)، أي أنّ الزيادة في مال المرابي يمثّل نقصاناً في أجره، والنقصان الحاصل في مال المُتصدّق يمثّل زيادة في أجره، كذلك النسيء في العمر في قولهم: (نساء الله أجلك) أي آخر موتك، يعني في الوقت نفسه زاد الله عمرك، وعليه نحصل على تعريفين للنسيء كالآتي:

١- التعريف العقلي الرياضي للنسيء: وهو نسيء الزيادة الصحيح، ويتمّ بزيادة شهر قمري بعد مرور سنتين قمريتين والدخول في السنة الثالثة؛ لتعويض النقص في السنتين القمريتين البالغ (٢٢,٥) يوماً تقريباً، ما يجعل التقويم القمري يتقدّم على الواقع بمقدار (٧) أيام، وعليه يجب أن لا يُضاف شهر النسيء كلّ ثمان سنين، أو كلّ أربع دورات تصحيحية.

ويبدو أنّ نسيء الزيادة هو الأقدم والأصحّ، وهو الذي تعلمته اليهود من اليونان، إذ كانت ((شهور اليهود

وهي شهور قمرية تساوي ٣٥٤ يوماً وست ساعات، فهي لذلك أنقص لأحد عشر يوماً عن السنة الرومانية، فأدخلوا شهراً ثالث عشر في كل ثلاث سنوات سموه "فيادا"، أو آذار الثاني. وبهذه الطريقة جعلوا السنة القمرية مساوية للسنة الشمسية))^(٤٩).

لكنّ المؤمنين بهذا الكبس التصحيحي من العرب كانوا أقلّ وقت مجيء الإسلام؛ لوجود إشارات تشير إلى توارثه من ديانة إبراهيم وإسماعيل^(٥٠) الموحّدة؛ لذلك صُعِبَ فهُم معظم المفسرين له، إذ أشار بعضهم إلى رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن (القلمس) قاضي نسيء الزيادة، الذي كان يُحرّم الشهر الأول من السنة القمرية وهو (صفر الأول) عامين، ويُحرّم صفر الثاني معه أيضاً في العام الثالث، فيسميهما بـ(الصّفرين)، لذلك إذا كان العام القابل (الثالث)، قال: ((قضينا فجعلناهما محرمين))^(٥١)، فيأمر الناس بأنّ ((لا تغزوا في صفر، حرّموه مع المحرم هما حرامان))^(٥٢) وذلك في كلّ دورة نسيئية.

هذا الأمر لم يفهمه المُفسِّرون المعتمدون في تفسيرهم على تحليل لغة النصوص المروية بروايات منفصلة عن سياق واقعها التاريخي المقامي؛ لذلك استغرب فريق من المفسرين من (نسيء زيادة شهر)، إذ جعل ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) زيادة الشهر المُعوّض عن النقص يزيد عدد الأشهر الحرم المتصلة بين (الثلاثة والخمسة)^(٥٣)، وكان عددُ شهور السنة التصحيحية الشاذة عند الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ((ثلاثة عشر أو أربعة عشر))^(٥٤)، في الوقت الذي يقول فيه الله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا...﴾^(٥٥)؛ لذلك اضطربوا في فهم سبب نقد القرآن للنسيء الجاهلي وهو: ﴿لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ...﴾^(٥٦)، بمعنى الحفاظ على رياضيات الأشهر الحرم المتصلة الثلاثة، ولكنهم تغافلوا عن المعنى القلبي التدبري، وهو كمال تواصل الأشهر الحرم، إذ كان النسيء الجاهلي يُجرى في الشهر الأول من السنة القمرية، أي في ثالث الأشهر الحرم المتصلة.

٢. التعريف القلبي التدبري للنسيء الجاهلي المغلوط: هو تأخير النشاط (الديني) من شهر قمرى ما إلى الشهر الذي يليه كي تتوافق المنافع الدينية والمنافع الدنيوية في كلّ دورة تصحيحية، حتى لو عبثت تأخير النشاط الديني (الحجّ) بمعنى تسمية شهر (ذي الحجة) بإفراغه من النشاط العبادي أن يحلّ فيه؛ لذلك

عُرِفَ هذا النسيء بأنه (نسيء التأخير)، والمعنى ((أنهم كانوا إذا صدروا من منى قام رجل من كنانة يقال له نُعيم بن ثعلبة [قاضي النسيء المغلوط]، فقال: أنا الذي... فيقولون له: أنسننا شهراً، أي أحررنا عتاً حرمة المحرم فاجعلها في صفر))^(٥٧)، وذلك لما أرادوا أن يقع حجّهم في عاشر ذي الحجة بحيث يوافق وقت إدراك العشب والفواكه واعتدال الهواء ليسهل على المسافرين السفر إلى مكّة، فيخطب ابن ثعلبة خطيب النسيء المغلوط قائلاً: ((إنّا جعلنا اسم الشهر الفلاني من السنة الداخلة لما بعده...))^(٥٨)، وهو ربما كان تمهيداً لتجريد أسماء الأشهر القمرية من دلالتها الرمزية، لاعتماد أسماء الأشهر الشمسية أو استعمال لغة الأرقام المجردة بتسمية الشهر برقم البرج الثابت المتصل بالفصول الزراعية.

وقصارى القول أنّ النسيء الجاهلي المغلوط المنقود بالقرآن يتضمّن خطأين:

أولهما: خطأ انتهاك معني اسم (ذي الحجة) ذي المضمون الديني بوصفه صورة عقلية مألوفة مجردة مطبوعة على طين المخ، تُشير إلى أفعال كلام قلبية، ف(ذو الحجة) يجب أن يكون فيه موسم الحجّ دائماً، لكنّ النسيء المغلوط نقل المضمون المُخصّص لاسم شهر ووضع في اسم لا يتفق معه بالدلالة، فكانوا ((يسمون ذلك الصفر المحرم، ويسمّون ربيعاً الأول صفرًا، وربيعاً الآخر ربيعاً الأول.. وهكذا في سائر الشهور يستقبلون نسيئهم في المحرم...))^(٥٩).

وثانيهما: خطأ تفكيك كمال اتصال الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة، وهي: (ذو القعدة، وذو الحجة، وصفر الأول)، إذ كان عرب ما قبل الإسلام يُسمّون الشهر الأول والثاني من السنة القمرية بـ(الصفران): وهما ((شهران من السنة سُمّي أحدهما [الأول] في الإسلام المحرم))^(٦٠)، كإجراء ديني يُراد به منع انتهاك اتصال الأشهر الحُرُم الثلاثة المتصلة.

لم يكن نسيء السنة القمرية التصحيحي سهلاً قبل الإسلام كسهولة نسيء أو كبس كلاً من السنة الشمسية أو القمرية على انفراد، بإضافة يوم للشهر الثاني الشمسي من السنة الرابعة الشاذة، وإضافة يوم للشهر الثاني عشر القمري من السنة الثالثة الشاذة أيضاً في التقويم القمري، بسبب حذف العقل للكسور التي تجتمع بعد عدد من السنين البسيطة المطردة بوحدة عدّ هي (اليوم)، أما نسيء السنة القمرية، فيمثل

عملية تصحيح الساعة القمرية على الشمسية؛ لذلك كان معقداً، وربما كان يتم على مراحل كالآتي:
المرحلة الأولى: عند مرور سنتين والدخول في الثالثة يحصل تقصير في الساعة القمرية أكثر من ثلثي الشهر، وعند زيادة شهر نسيء يتقدم التقويم كرياضة العقل للواقع، على الواقع المعيش ب(٧) أيام.
المرحلة الثانية: إذا حصلت دورة نسيء ثانية وزدنا شهراً ثانياً، فإن التقويم كرياضيات للواقع يتقدم على الواقع ب(١٤) يوماً، وهي تمثل أقل من نصف شهر قمري تقريباً، وهنا يكون قاضي النسيء الجاهلي مخيراً بين تصحيح التقويم وعدمه.
المرحلة الثالثة:

أ - يستعمل القاضي النسيء التصحيحي الثالث فيتقدم التقويم على الواقع ب(٢١) يوماً، وهو مستساغ؛ لأن الاضطراب للنسيء التصحيحي سببه نقصان (٢٢) يوماً في الساعة القمرية بالقياس إلى الساعة الشمسية، والتفاوت بين (٢١) و(٢٢) مسموح به سواء كان تقديماً أو تأخيراً، بمعنى إذا حصل نسيء دوري ثالث متتابع، فإن الدورة الرابعة لا يحصل فيها نسيء، نظراً لمساواة تقدم التقويم كرياضة للواقع لتقصير التقويم القمري بالنسبة إلى الشمسي.

ب - لا يصح القاضي الساعة القمرية في الدورة الثالثة، فيطرح نقصان (٢٢) يوماً من (١٤) يوماً بسبب كبسين تصحيحيين متتاليين، فيصبح النقص (٨) ثمانية أيام، وهو مسموح به كما يُسمح بنقص (١١) يوماً نقصاناً عن الساعة الشمسية في العام الواحد.

هذا التعقيد في النسيء يحتاج إلى خطيب ذي عقلية رياضية وذاكرة قوية وإحساس قلبي تدبري مرهف يوازن بين المنافع الدينية والدينية، ولا سيما في المرحلة الثالثة التي فيها خياران والمرحلة الرابعة التي فيها ثلاثة خيارات، وهو ما يسوغ افتتاح ذلك الخطيب بما يُعبر عن سلطته القضائية والعلمية الفلكية، بقوله: ((إني لا أعاب ولا أحاب ولا مردّ لما أقول...))^(٦١)، أو ((أنا الذي لا أعاب ولا يُردّ لي قضاء...))^(٦٢)، لصعوبة إدراك عامة الناس لهذه العملية المعقدة المهمة في حياتهم الدينية والدينية.

إن سبب النسيء الجاهلي عند معظم المفسرين غير مقنع، إذ فسروه برغبة بعض قبائل العرب في القتال

وعدم صبرهم ثلاثة أشهر متصلة من دونه. وقد نسبوا هذه الرغبة إلى قبيلة (كنانة)؛ لأنهم ((فقراء محاييج))^(٦٣)، ما يجعل هذه القبيلة وقاضيتها أشخاصا متهورين غير متحضرين أو غير متخلقين بأخلاق دينية تمنعهم من انتهاك الحرمات العامة في شهر الحج؛ لذلك قال الدكتور جواد علي: ((إني أرى في هذا التفسير تكلفاً ظاهراً، وهو يعارض ما ذُكر من الغاية من النسيء، وإذا جاز إحداثه في سنة ما، للغايات المذكورة [تحليل القتال]، فلا يعقل إحداثه في كل سنة بانتظام، وإلا لم يبق له معنى ولا فائدة [عامة] تُرجى))^(٦٤).

وعليه لا بدّ من سببٍ منطقيٍّ آخرٍ أعمّ وأشملٍ من السبب الانفعالي النفسي يفسّر هذا الإجراء المنظم الذي يُصحح السنة القمرية على السنة الشمسية. والسبب الوجيه هو الذي يكتشفه القلب التدبري هو توسيع وقت السلام كميّاً، وكماله اتصاله كيفياً بدافع ديني يؤمّن حركة التجارة والزراعة والتبادل الثقافي، وفسح الوقت للهدوء النفسي الباعث على التأمل الذي يُروّض الانفعال المتصل بنتائج الحروب وأهمها الثأر، ما يحوّل الإنسان العربي من حال حضارية أدنى إلى حال أخرى أسمى بمرور الزمن ((حتى لو أنّ رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها، وإنما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لِمَا عَلِمَ من المصلحة في الكفّ عن الظلم فيها لعظم منزلتها؛ ولأنّه ربّما أدى ذلك إلى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة وانكسار الحميّة في تلك المدة))^(٦٥).

المبحث الثاني: نسيء التقويم القمري في الإسلام حتى وفاة الرسول (ص):

يظهر إقرار الإسلام بإجراء بنسيء التقويم القمري أو كبسه كبسا صحيحيا في قبول النبي (ص) به من بعثته حتى وفاته، بالبرهان العلمي الذي لمسناه في توافق روايات الوقائع التاريخية الإسلامية حتى وفاته (ص)، مُعزّزا بأدلة طبيعية، بحسب ما أوضحناه سابقا.

إنّ إلغاء نسيء تقويم السنة القمرية لأمر سهل قرآنياً ونبوياً، أسهل من إلغاء أمور كثيرة أخطر منه، وأشقّ على العرب قبل الإسلام وبعده، مثل إلغاء تعدد الآلهة بإله واحد، والهزء بعبادة الأصنام ومجتمع الكهنة وسلطتهم الدينية، ومخالفة أهل الكتاب وشطرا من سلوك المسلمين في التوجّه بالصلاة إلى الشام^(٦٦)،

وإلغاء كثير من العادات والتقاليد المؤثرة سلبا في بناء الاقتصاد والأسرة، كالربا، وشرب الخمر، والزنا، الذي هو أحسن من الممارسة الاجتماعية الحيوانية لعدم انضباطه بقانون طبيعي كانضباطه عند الحيوان بالقوي، وانضباط وقته بموسم معين بحيث يكثر الغذاء للمواليد الجدد، وبعدها تكون الذكور والإناث متألفة كالإخوة من دون ممارسة الجنس لأغراض شهوية أنانية.

ولم يبلغ الإسلام نسيء التقويم القمري؛ لأنه يُعدّ (آية)، أي علامة علمية عجيبة اخترعها عقل الإنسان المجرّد كحاسوب متطوّر يعمل على إنشاء دوال للتعبير عمّا في نفس المخلوق العاقل يساعد في التنبه عليها القلب التدبري الذي يتدبّر عواقب الأمور وغاياتها ويتأكد من صحتها بمقياس جلب المنافع الدينية والدنيوية وتوافقهما معا، وبهذا يكون نسيء التقويم القمري (آية) تُجدّد التقويم وتطوّر لمواكبة تجدد وتطوّر حركة المحكوم عليه حركة ذاتية منضبطة على وفق القوانين الفلكية الواصفة لحركة الفلك كواقع حسيّ تجريبي عجيب، الذي يُعدّ آية أيضا، ولكنها آية أو علامة طبيعية عجيبة مركّبة من علاقة ما يحصل عليه القمر من نور، يُحدّد مقداره حجُب الأرض لضوء الشمس بانضباط يشكّل ما يشبه عقرب الساعة الشريطية، الذي يحسب الزمن بالسنين اعتمادا على ثابت رياضيّ عقليّ مجرد يُسمّى بـ(اليوم)، الذي يمثل (نسخ) ضوء الشمس لسطح الكرة الأرضية بالعود إلى نقطة بدء خلال ثابت عقليّ رياضيّ مجرد هو (٢٤) ساعة، وثابت شهري قمري يُحدّده عقرب (الهلال السابق حتى الهلال اللاحق)، وثابت (السنة) المرتبط بثابت (الشهر) كعدد مجرد يشير إلى اثني عشر برجاً تُمسحُ خلال السنة، (السنة = ١٢ شهرا).

والنسخ في اللغة هو: ((إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظلّ ونسخ الظلّ الشمس))^(٦٧)، أي أنّ الظلّ يُزال وتُثبت مكانه إضاءة شمسية كانت ظلّا قبل مدة، والإضاءة تُزال وتُثبت مكانها ظلّ يحجب الإضاءة التي كانت قبل مدة، بتزامن الحداثين، ما يدلّ على تجدد حركة أجزاء الساعة الطبيعية العجيبة: (القمر والأرض والشمس)، على قاعدة الأبراج السماوية الاثني عشر الثابتة الموزع عليها أرقام ثابت العدّ، وهو ١٢ شهرا لكلا الساعتين القمرية والشمسية.

كلّ ما تقدّم مُعبّرٌ عنه بخطاب مفصّل وموجّه لمجتمع العلماء، وذلك قوله تعالى المُعبّر عن الحقيقة

الطبيعية العجيبة المتحركة ذاتيا نحو الأخير والأحسن بمشيئة القائل سبحانه؛ لأنه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦٨).

أما من حيث فقه اللغة، فالنسيء التصحيحي كلفظ له دلالة تشير إلى التجدد نحو الأخير والأحسن عبر مرور الزمن، و(النسيء)، و(النسخ)، و(النسل)، وكذلك النسيان من (نسي) بمعنى تجديد الذاكرة لتنظر إلى الأشياء كرة ثانية بأنظار جديدة، تتفق كل هذه الألفاظ وملاحظة أحد المفسرين المحدثين العميقة، وهو محيي الدين الدرويش، الذي اكتشف أن جميع المواد اللغوية في العربية ذات النسق (نون وسين وما يثلثهما)، إنما تدل على التجدد نحو الأحسن، وقد ختم كلامه بقوله: ((وهذا من أعاجيب لغتنا العربية فتأملها، فإنه مما ابتدعناه لأول مرة. ومعنى الآية [آية النسخ] عجيب أيضا))^(٦٩).

فالنسيء آية علمية ابتكرها عقل الإنسان المجرد الرياضي تعبر عن الحقيقة التحليلية: (الكل = مجموع أجزائه)، اعتمادا على قواعد الاستنتاج المسلم بصحتها كدهيات المماثلة بالكميات: (٢ + ٢ = ٤)^(٧٠) في علم الحساب والرياضيات، يُفاد منها في إنتاج ثقافة تدل على تقدم الأمم العلمي حين تواكب ريشة الواقع الواقع نفسه وتصحح نفسها بمعادلات رياضية؛ لذلك يلزمنا أن نفهم فهما تدبريا جيدا النصوص القرآنية الناقدة والنبوية الواصفة التي تتعلق مباشرة بهذا الموضوع، وأهمها نسان:

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٧١).

والسؤال هنا هل أن نقد نسيء التقويم القمري القرآني كان نقدا عاما، أي نقدا للشيء في ذاته، كأن يقال: (النسيء عموما خطأ)، كما نقول مسلمين بصحة القضية الآتية: (الشر خطأ)، أم هو نقد مُخصَّص كخبر يتضمن أمرا بتصحيح بعض الخطأ في فهم أو تدبر الموضوع؟!.

الجواب إن سبب الزيادة في كفر نسيء الجاهليين؛ لأنه يُحِلُّ القتال في الشهر الأول المحرم في السنة القمرية التصحيحية، ويُنقل تحريم القتال فيه إلى شهر صفر الذي يليه بداية كل سنة قمرية ثالثة للحفاظ

على عدد الأشهر الحرم فحسب، من دون الحفاظ على المضمون القلبي التدبري لكمال الاتصال، بدليل معنى (مواطأة عدّة ما حرّم الله)، أي موافقة عدد الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة بالعدد فقط من دون مراعاة كمال اتصالها، هكذا: (ذو القعدة + ذو الحجة + + صفر).

ومواطأة عدد الأشهر الحرم المنقودة في القرآن تعني تحويل موضوع الإدراك القلبي الكيفي إلى إدراك عقلي كمّي مجرد. وتعني المواطأة لغويا: الموافقة، وأصلها ((أَنْ يَطَأَ الرَّجُلُ بِرِجْلِهِ مَوْطِئًا صَاحِبَهُ))^(٧٢)، فيكون عدد مواطئي قَدَمَي الرجلين متساويا. كذلك يبقى عدد الأشهر الحرم المتصلة ثلاثة أشهر كرياضيات مجردة ثابتا عند الجاهليين، سواء اتصلت جميعا أم انقطع اثنتين منهما عن الثالث بالشهر التصحيحي (ن).

أما معنى: «جِلْوَنُهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا»^(٧٣)، بدلا من (عامين)؛ لأنّ الله لا يُريد وصف التفصيلات، وإنّما أراد وصف خلخلة نسق التحريم واضطراب إيقاعه المفروض أنّ يستمر ولا يُكسر بإيقاع مضاد بداية كلّ سنة قمرية ثالثة، وتوضيح ذلك كما نقول لشخص: (لماذا تأكل باليد اليمنى مرة، وبالشمال مرة؟!)، وهو في الواقع التفصيلي يأكل باليد اليمنى مرتين أو ثلاثا، ثم يكسر هذا النمط مرة واحدة فيأكل باليد الشمال.

وهذه التحليل يؤكد الزمخشري بقوله: ((فإذا جاء الشهر الحرام... فيحلّونه ويحرمون مكانه شهرا آخر، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم... ليواطئوا عدّة ما حرّم الله؛ أي ليوافقوا العدّة [العدد المجرد] التي هي الأربعة، ولا يخالفوها. وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين))^(٧٤)؛ والواجبان هما: واجب كمّي بضبط عدد الأشهر الحرم: (٤ = ٣ متصلة + ١ منفصل)؛ لإرضاء العقل المجرد من جهة، وواجب ضبط التواصل الكيفي كمعنى قلبي تدبري نفعي بين الأشهر الثلاثة المتصلة: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم)^(٧٥)، الذي يُدرك إدراكا كينيا دفعة واحدة من جهة أخرى، لتوسيع مدّة الأمن والسلام الحضاري مدة (٩٠) يوما تقريبا في السنتين القمريتين البسيطتين، ومدة (٩٧) يوما تقريبا في السنة التي تليهما الشاذة، بدافع ديني يحترمه المجتمع.

أدى علماء الجاهلية الواجب الأول وخالفوا الواجب الآخر، لإجرائهم نسيء التقويم في الشهر الأول من السنة القمرية الثالثة، وهو آخر الأشهر الحرم المتصلة، فكانوا يحرّمونه عامين، ويحلّونه عاما ثالثا. عالج المجتمع الإسلامي بإشراف النبي (ص) الخطأ الجزئي في النسيء الجاهلي بفكّ التداخل بين اسمي الشهر الأول والثاني، إذ كانا يُسميان بـ(الصُّفران)؛ صفر الأول، وصُفر الثاني، فغيّر الإسلام اسم الأول منهما وسمّاه بـ(المحرّم)، وهو اسم يتضمّن حكما منطقيا صارما محكوما عليه بمقياس العقل المجرد ثنائي القيمة: (حرام × حلال) ولا ثالث بينهما، فحكّم بتحريم المحرّم، أي تحريم القتال فيه، وربّما تحريم الصيد لمنع إجراء نسيء التقويم في هذا الشهر بالذات، لينتقل إلى الشهر الذي يليه وهو (صُفر) أو ما بعده. ويمكن أن تُفحص صحّة النسيء على أحد الأشهر المزدوجة الاسم: (ربيع الأول، وربيع الآخر)، اعتمادا على (آية) الربيع الطبيعية كعلامة عجيبة تُشير إلى تأخّر تفتحّ الزهور مدة (٢٢) يوما عند مرور سنتين قمريتين بسيطتين والدخول في الثالثة الشاذة.

أو تُفحص على (جُمادى الأولى، وجُمادى الآخرة)، اعتمادا على آية عجيبة أخرى تشير إلى موسم حصاد الحبوب، اللذين تتجمّد فيهما التربة وتجفّ، أو تتجمّد فيه الحبوب بمعنى تتصلب متهيأة للحصاد؛ لذلك حصل ازدواج في تسمية الأشهر القمرية، إذ تفتحّ الزهور في هذا العام في ربيع الأول بوقتها الموافق للشهر الشمسي، وفي العام التالي تتأخّر فيُسمّى بربيع الثاني، فيحصل ربيعان أولهما ربيع الأول يعني السابق، وثانيهما ربيع الثاني يعني الحالي، وكذلك الجماديان، وكذلك الأذاران عند اليهود، آذار الأول وآذار الثاني المسمى بـ(فيادار)^(٧٦).

وعلى هذا الأساس حقّق النسيء الإسلامي الجديد أو النسيء الإسلامي القديم (الإبراهيمي/الإسماعيلي)^(٧٧) الشروط الآتية:

أولا: شرط تواصل الأشهر الحرم المتصلة في كلّ عام لبسط الأمن والسلام ثلاثة أشهر متصلة تواملا كفيّا مسبوقةً بشهر الاستعداد النفسي لموسم الحجّ، وهو شهر شوال، ما يدلّ على تطوّر التحضّر العربي الإبراهيمي الإسماعيلي القديم من (الخَيْر) نحو (الأخير منه) في عهد الإسلام المحمدي الحديث.

ثانياً: شرط الحفاظ على المعنى القلبي التدبري لأسماء الأشهر الحُرْم ذات الطابع الديني الحضاري، ويظهر ذلك في تبديل اسم (صفر) الأول إلى (المحرم)، المعرّف ب(ال) الكمالية من دون تعريف الأشهر الأخرى فلا يُقال: (الشعبان، ولا الرمضان، ولا الـرجب...الخ)، إذ يُنقل اسم شهر المحرم في كلّ دورة تقويمية إلى الشهر الشمسي المقابل بغضّ النظر عن شهر الزيادة التصحيحي، وهذا ما أراد فعله النبي (ص) لو بقي حيّاً، بحسب ما نفهم من قراءة نصه الآتي.

٢- قول رسول الله (ص) في حجة الوداع: ((ألا وأنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرْم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان))^(٧٨).

يمثل هذا الجزء من خطبة حجة الوداع خبراً تقريرياً، وكلّ خبر في سياق التواصل يتضمّن أمراً أو مجموعة أوامر خفية سميها ب(المعاني القلبية التدبرية) التي يفهمها المخاطب من السياق المقامي، مثال ذلك عندما نقول لشخص: (جاء زيد)، فإنّه يشكرنا على إخباره بمجيء زيد الصديق الذي يستحقّ الاحترام والتقدير، أو قد يفهم معنى (التحذير) من هذا العدو الشرير؛ لذلك قيل إن: ((المعنى الحقيقي للدلالة... تعني الإشارة إلى شيء ما لشخص ما، بالمعنى الذي أن يكون إعطائه أمراً. وللعلامات بوجه عام وظيفة تنبيه شخص ما لإدراك شيء ما [يتدبره])^(٧٩).

وعلى هذا الأساس سنحاول استخراج عدد من المعاني التدبرية الجديدة من النص النبوي السابق ونعزّز المعاني القديمة الصحيحة، ونردّ غير الصحيحة منها، التي لا تتفق وروح الإسلام بالآتي:

أ - المعاني التدبرية الصحيحة:

أولاً: يشير النص السابق إلينا أنّ نفهم ونتدبر مدة التقصير في الساعة القمرية بأنّها (سنة واحدة) لكلّ (٣٢,٥) سنة قمرية، وفيها ينطبق عقرب الساعة المقصّرة على عقرب الساعة المضبوطة، كما كانا قبل (٣٢,٥) سنة. وعليه يجب أن تُزاد (سنّة) قمرية واحدة عند حساب عُمر الأشياء المقاسة بها بالقياس إلى عمرها بوساطة السنة الشمسية، إذا أردنا المقارنة بين حساب أعمار الأشياء بالساعتين، فمن قيس عمره

بالساعة الشمسية فكان (٣٢) سنة مثلا، سيكون عمره بالساعة القمرية (٣٣) سنة، ومن كان عمره (٣٠٠) سنة شمسية سيكون عمره (٣٠٩,٣) قمرية، ويحذف العقل المجرد الكسر بعد الفارزة. وهذا يوافق قوله تعالى في حساب مدة غفوة أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(٨٠)، تقريبا، كالاتي:

٣٠٠ سنة شمسية = ٣٠٩ سنة قمرية تقريبا.....

وهذا المعنى أقرب إلى معنى جملة خطبة النبي (ص): (استدار الزمان...)، الزمان كشيء موضوعي محسوب بساعتين إحدهما أسرع من الأخرى، ويدلّ تطابق عقاربهما بعد مرور (٣٢,٥) عاما على وجود علاقة رياضية منضبطة بينهما، يمكن لعلماء الفلك والفيزياء حسابها بدقة متناهية لأمد مستقبلي أو ماضوي بعيد.

ثانيا: أوضح فريق من المفسرين أنّ هذا الجزء من خطبة الوداع، يؤكّد معنى تدبريا وهو أمر المخاطبين بـ (أن لا تنتهكوا المعاني القلبية لتسمية الأشهر القمرية الدينية بعدي)، وهو معنى وجيه؛ لذلك أمر المسلمين أن يجّوا في ذي الحجة ولا ينقلون الحجّ كنشاط ديني إلى الشهر الذي يليه كما كان الجاهليون يفعلون ذلك، أو لا تستعملوا النسيء الجاهلي المغلوط، وهو نسيء (التأخير)؛ لأنّ ((الأشهر الحُرْم رجعت إلى مواضعها وعاد الحجّ إلى ذي الحجة))^(٨١)، بسبب نسيء (التأخير) الجاهلي؛ لأنّه ينتهك الدلالة (القلبية) لأسماء الشهور القمرية كثوابت تعبّر عن مضمون الحقيقة اللغوية، وهذا يتضمّن معنى قلبيا آخر وهو: (اعملوا بنسيء الزيادة)، لمدّ السلم الاجتماعي مدة أسبوع زيادة على عدد أيام الأشهر الحُرْم المتصلة في كلّ دورة تقويم قمرية تصحيحية.

ب- المعاني التدبرية غير الصحيحة:

أشار فريق من المفسرين^(٨٢) إلى وجود معنى تدبري في كلام النبي (ص) يأمر بإبطال نسيء التقويم القمري مطلقا، وهذا يعني ترك الصيام والحج ومواقع الأشهر الحرم المتصلة والشهر المنفصل (رجب) من دون ربط توافقي ثابت مع أشهر السنة الشمسية، أو مع الأبراج الاثني عشر السماوية الثابتة، وبهذا

سينتقل الحج باتجاه أشهر الخريف بداية نمو النباتات وتزاوج الحيوانات فتُصاد وأفراخها في بطونها. وينتقل الصيام باتجاه أشهر الحرّ الشديد ثم يتحول إلى الربيع، ثم تعود العبادتان إلى مواقعهما بعد مرور (٣٢,٥) سنة قمرية، كما يحصل عندما اليوم، وهو أمر غير ملائم للطف وعدالة المُشرِّع بعباده، إذ تُصبح هاتان العبادتان رحمةً في وقت، ونقمةً في وقت آخر، ويُصبح الإنسان صديقاً للبيئة تارة وعدواً مدمراً لها تارة أخرى.

لقد بينّا سابقاً إقرار النبي (ص) لعملية النسيء من مبعثه حتى وفاته، ولو أراد هذا المعنى الخطير في خطبته، وهو ترك نسيء التقويم القمري نهائياً، لصرّح بهذا المعنى، ولم يتركه لمن يتدبّر معناه القلبي الخفيّ فيما بعده، ولا سيما أنّه (ص) كان على علمٍ بوفاته بأنّها واقعة بعد حجة الوداع بوقت قريب.

لقد تُركت عملية نسيء التقويم القمري فعلاً بعد وفاة الرسول (ص)، لكنّ المصادر لم تُشر إلى هذا الحدث الخطير كمؤشر لانفصال الحياة الدنيوية عن الحياة الدنيوية، والحكم بأفضلية الأولى كمؤشر للزهد في الثانية تارة، أو تفضيل الحياة الدنيوية على الأخروية تارةً أخرى بحسب تغيّر الظروف، بما لا يلائم طبيعة آخر الأديان السماوية أن يكون ديناً سلبياً لا يُؤلي عناية بوصل الحياتين ومنافعهما معاً، بحسب قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٨٣).

ويدلّ على ترك عملية النسيء فعلاً بعد وفاة النبي (ص) اختلاف ترتيب الأشهر القمرية عن الشمسية في عدد من الوقائع التي ذكرها اليعقوبي بعد وفاة الرسول (ص)، المُوضّحة في الجدول الآتي، الذي يُبيّن صحّة ترتيبها كنسق يحاكي ترتيبها قبل وفاة النبي (ص) في العمود الثالث، وعشوائية ترتيبها فيما بعد في العمود الرابع:

ت	الواقعة	التوافق كسنة نبوية	العشوائية فيما بعد السنة
١	وفاة أبي بكر	٢١ / جمادى الآخرة / ١٣هـ = الشهر السادس حزيان الشمسي، أول اشهر الصيف.	٢١ / جمادى الآخرة / ١٣هـ ≠ شهر العجم آب، أي الثامن الشمسي ^(٨٤) ، ثالث أشهر الصيف.
٢	تولية عثمان الخلافة	الأول من محرّم (الشهر الأول القمري) عام ٢٤هـ = الأول من كانون الثاني (يناير) الشمسي، ثاني أشهر الشتاء.	الأول من محرّم (الشهر الأول القمري) عام ٢٤هـ ≠ الشهر الحادي عشر الشمسي تشرين الثاني من أشهر العجم ^(٨٥) ، ثالث أشهر الخريف.
٣	تولية علي الخلافة	لسبع بقين من ذي الحجة (الثاني عشر قمري) = الثاني عشر شمسي، كانون الأول (ديسمبر)، أول أشهر الشتاء.	لسبع بقين من ذي الحجة (الثاني عشر قمري) ≠ الشهر السادس الشمسي حزيان ^(٨٦) (يونيو)، أول شهر الصيف اللاهب.
٤	وفاة علي بن أبي طالب	أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان = التاسع الشمسي أيلول (سبتمبر)، أول اشهر الخريف.	أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان ≠ من شهر العجم الشهر الأول، كانون الآخر ^(٨٧) يناير، أول أشهر الشتاء.

ت	الواقعة	التوافق كسنة نبوية	العشوائية فيما بعد السنة
٥	مقتل الحسين بن علي	٦١/١/١٠ هـ، الشهر الأول القمري = كانون الثاني (يناير) الشمسي، ثاني أشهر الشتاء.	٦١/١/١٠ هـ، الشهر الأول القمري ≠ الشهر العاشر الشمسي، تشرين الأول ^(٨٨) (أكتوبر)، ثاني أشهر الخريف.
٥	تولية هشام بن عبد الملك الخلافة	رمضان (التاسع القمري) = التاسع الشمسي، أيلول (سبتمبر)، أول أشهر الخريف.	رمضان (التاسع القمري) // ١٠٥ هـ ≠ كانون (الثاني أو الأول) الشمسي ^(٨٩) ؛ أول أو ثاني أشهر الشتاء.

وهذا يعني أنّ عمل القلب التدبري الباحث عن المنافع العامة، توقّف بعد وفاة النبي (ص) وسادت أحكام العقل المجرد، فأخذت قرارات حديّة أهمها قرار الخلافة لقريش كفصل للعقل المجرد، اعتمد على قاعدة صورية عامة هي: (الهجرة أفضل من النّصرة)، أو (السابق في الإسلام أفضل من اللاحق)، بدلا من قاعدة العليم الخبير: «أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^(٩٠)، ما أدّى إلى ظهور انشقاقات أدت إلى حروب داخلية أهلية بين المسلمين سُميت بـ(حروب الردّة)، وما هي بالردّة عن التوحيد ولا عن الصلاة والصيام والحجّ، إلاّ الزكاة كجانب اقتصادي يجب يؤخذ بالقوة لحاجة الدولة الإسلامية إليه آنذاك، لقول أبي بكر: ((لو منعوني عقالا، [أي عقال بغير كانوا يأتونه لرسول الله] لجاهدتهم عليه))^(٩١). جعل هذا القرار على من أدّى أركان الدين واجبات أخرى تتمثل في (التضحية بالمال تحت اسم الزكاة، والتضحية بالنفس تحت اسم الجهاد) لنشر الإسلام بالقوة. وعلى غير المسلم دفع الجزية صاغرا، كمصادر دخل لدولة اعتمدت على اقتصاد الحرب، وأهملت الاقتصاد الذي ينمي ثروات الأرض الطبيعية

وإعادة توزيعها بالتجارة، ونسيت قریش رحلتها المشهورتين المذكورتين في القرآن الكريم باسم: (رحلة الشتاء ورحلة الصيف)، وعاد الصراع العلوي الأموي إلى الواجهة، وقد أدت تكاليف الحروب الباهظة وتوقف الفتوحات إلى قتل ثلاثة خلفاء راشدين هم: (عمر، وعثمان، وعلي)، ولو عمّر أبو بكر طويلاً لقتل أيضاً، دلالة على تحفيز الوحشية في نفوس العرب المسلمين وعدم احترامهم للرموز العامة التي كانت من أوائل المسلمين المهاجرين، بدلا من تثقيف العرب على الرقي الروحي، المتمثل في ثقافة النبي (ص) بحبه الخير الإنساني العام وإشاعة الأمن والسلام في العالم بدوافع دينية عن طريق إجراء النسيء الإسلامي الذي يمدّ السلم الاجتماعي مدة نصف سنة، ليكون الإنسان العربي المسلم صديقا للبيئة ولأخيه ولنفسه أيضاً، إذ يعطيها فسحة طويلة للتأمل والتدبّر لحلّ المشكلات التي تواجهه في الواقع حلاً علمياً تجريبياً، من دون القفز على الواقع لالتماس حلول إلهية جاهزة خارقة لقوانين الطبيعة، ومن دون أن يتصوّر المسلم نفسه كواحد من شعب الله المختار، إلا بشرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليصبح الدين الإسلامي ((دينا واقعياً إنسانياً يؤكد أنّ الفعل الإلهي إذا تحقق في التاريخ [الزمان والمكان] يجري على سنن التاريخ، وهي السنن التي تمثل القوانين الكلية التي عبّر عنها القرآن الكريم بسنة الله التي لن تجد عنها تبديلاً))^(٩٢).

الخاتمة:

يمكن إيجاز ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات بالآتي:

أولاً: النتائج:

١- إنّ نسيء التقويم القمري بمعنى تصحيح الساعة القمرية المُقَصِّرة (١١) يوماً كلّ عام على الساعة الشمسية المنضبطة نسبياً، يمثل نقلة حضارية عند عرب ما قبل الإسلام تربط المنافع الدينية بالدنيوية، إذ تصبح عبادة الحج دافعاً دينياً مقدساً لإشاعة الأمن والسلام ثلاثة أشهر متصلة يسبقها شهر شوال كاستعداد نفسي لاستقبال ذلك السلام في موسم الاعتدال الخريفي، الذي يكثر فيه نشاط الكائنات الحيّة من نباتات وحيوانات أليفة وبريّة يكون الإنسان مسؤولاً عن حفظ توازنها برعايتها والانتفاع بها.

٢- لم يُدرك العقل المجرد القديم الذي يُفكك الأشياء المعقدة إلى بسائط، وجود علاقة عكسية يُدركها القلب التدبري بين النسيء بمعنى (التأخير) أي تأخير النشاط الديني من شهر قمري إلى الذي يليه في كلّ دورة تصحيحية من جهة، والنسيء بمعنى (الزيادة)، أي زيادة شهر قمري يعوّض النقص في السنة القمرية البالغ (٢٢) يوما كلّ سنتين والدخول في السنة الثالثة من جهة أخرى، والعلاقة العكسية التي اكتشفها البحث بين النسيئين تظهر في قولنا: نساء الله أجلك، بمعنى أحر موتك، ويعني في الوقت نفسه: زاد الله عمرك، ما يدلّ على وجود نسيئين قبل مجيء الإسلام، أولهما: نسيء الزيادة، وهو نسيء متوارث من الديانة الابراهيمية والاسماعيلية، كتعويض عن النقص في الساعة القمرية كلّ عامين، ثانيهما: نسيء التأخير: وهو نسيء جاهلي وهو الشائع عند مجيء الإسلام، وسَمّي كذلك؛ لأنهم كانوا يؤخّرون نشاط الحجّ من شهر إلى الشهر الذي يليه بعد كلّ مرور عامين قمرين والدخول في العام الثالث، لغرض تصحيح الساعة القمرية على الشمسية فيبقى الحجّ كنشاط ديني ثابت التوقيت شمسيا في أشهر الخريف المعتدلة الجو والأيام العشرة الأوائل من أول شهر شتوي. وفي هذا النسيء يوجد غلطان، أولهما: انتهاك دلالة اسم ذي الحجة، إذ يحجون عامين في ذي الحجة، وعامين في المحرم، وعامين في صفر وهكذا، حتى وافقت حجة أبي بكر في ذي العقدة، ثم انتقلت حجة الوداع إلى ذي الحجة بعد مرور (٣٢) عاما.

أما الغلط الثاني فهو تفكيك تواصل الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة: (ذو العقدة وذو الحجة والمحرم).

٣- فهَمّ المسلمون بعد وفاة النبي (ص) أنّ نقد القرآن للنسيء الجاهلي المغلوط بأنه زيادة في الكفر، بمعنى تضمّنه أمرا تدبريا بترك النسيء مطلقا، وفهموا من خطبة النبي: ((ألا وأنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حُرُم، ثلاثة متواليات...)) بأنه يتضمّن أمرا بترك عملية النسيء، ولكنّ الصحيح أنّ القرآن انتقد الغلط الأول وهو تفكيك الأشهر الحرم الثلاثة المتصلة، أما خطبة النبي (ص) فانتقدت انتهاك تسمية الأشهر القمرية ولاسيما الدينية منها (المحرم، ورمضان وذو الحجة)، وهذا يعني وجوب تصحيح أخطاء النسيء الجاهلي الشائع، والعودة إلى نسيء الزيادة الابراهيمية الاسماعيلية، الذي أقرّه النبي (ص) من مبعثه حتى وفاته.

٤- أدى ترك النسيء الإسلامي كسُنَّة نبويّة، إلى تقدّم عبادة الصيام ب(١١) يوما نحو الصيف اللاهب الطويل الساعات كلّ عام، بما لا يُطيقه المسلم في كثير من البلاد العربية والإسلامية، ما جعل العقل يُفكّر بالتحايل على الدين بطريقة الجدل المتعالي الذي يحافظ على صورة العبادات لتستوعب ما هو منهجيّ عنه قرآنا وسُنَّةً من سلوكيات أخلاقية ما أنزل الله بها من سلطان.
ثانيا: التوصيات:

تمثل توصيات هذا البحث العودة إلى العمق الحضاري والثقافي للفهم التدبري للنصوص التاريخية والدينية، إذ أردنا أن نحافظ على ثقافة الإسلام الايجابية؛ لذلك يوصي البحث بما يأتي:

١- إعادة النظر بتفعيل نسيء التقويم القمري الصحيح (نسيء الزيادة)، الذي هو سُنَّة نبوية قديمة أقرها خاتم الأنبياء (ص)، ليرجع ديننا إيجابيا يوافق بين المنافع الدينية والدنيوية، ونبذ السلبية الموجودة فيه الآن، التي لا تلائم آخر دين سماوي أن يعيش معتنقوه زاهدين بالدنيا، أو يقتاتون على اقتصاد الحرب والغنائم الباردة، مقلدين آباءنا تقليدا ببغاويا.

٢- إن تفعيل نسيء الزيادة يجعل عبادتي الحج والصيام متسقتين ومتوافقتين مع أعمال المسلمين الوظيفية والنفعية العامة بنظام عقلي منطقي مطرد، إذ يحلّ الصيام في شهر الاعتدال الخريفي دائما الملائم لمقدرة الإنسان على أداء تلك العبادة والعمل في وقت واحد، من دون اللجوء إلى آليات الاحتيال على الدين، أو خيانة النفس بالتظاهر بالصيام والإفطار السريّ.

كذلك الحج الأكبر سيكون مواعده ثابتا في الأيام العشرة بداية أول شهر شتاء مكة وما حولها، ليسهل الحج على الحجيج الحجّ في أجواء لطيفة تصلح للتبادل التجاري والثقافي، ليصبح الدين الإسلامي إيجابيا جاذبا وليس سلبيا استهلاكيًا طاردا مُعطّلا للناشط الدنيوي.

هوامش البحث:

- (١) ظ: الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، هانز جورج غادامير: ٦٥.
- (٢) ظ: التقويم الهجري كيف كان وكيف أصبح؟، إبراهيم دادي، بحث متاح على الموقع الإلكتروني: www.ahl-alquran.com
- (٣) ظ: الزاهر، الأنباري: ٥٥٩/١، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٦٩٤/٢.
- (٤) ظ: نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، تومان غازي الخفاجي وزميله: ٧١ وما بعدها.
- (٥) ظ: فلسفة فويرباخ بين المادية والإنسانية، نادية أحمد النصاروي: ٦٨.
- (٦) الصورة الأيقونية: علامة سيميائية (معنوية) بين شكلها أو صورتها المختزنة في المخ كنقش، وبين مرجعها الواقعي المُستقرَّ العام، تشابه أو تماثل، وليس تطابقاً تاماً، نحو صورة الإنسان المنقوشة على طين المخ التي تشبه صورة كلِّ إنسان واقعي، ولا تتطابق مع أيٍّ منهم لتجردها من مادة (الدم واللحم)؛ لهذا تتسم الصور بثبوت هوياتها كصورة تُميّز الإنسان من الحيوان، ومن صورة النبات إلى غير ذلك، لعدم تغيرها كما يتغير الإنسان الواقعي عبر مرور الزمن، إذ يُولد ويشبَّ ويشيخ ويموت.
- (٧) ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٦/٥، البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٢٤٧/٥، روح المعاني، الألوسي: ٣٩٩/١٠.
- (٨) ظ: التقويم قمري، بحث متاح على مواقع الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org
- (٩) ظ: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤادي الباقي، مادة (شهر، ويوم).
- (١٠) ظ: التقويمان الهجري والميلادي، فييمان - جرنفيل: ١٥.
- (١١) ظ: م.ن: ٥.
- (١٢) روح المعاني، الألوسي: ٣٦٥/١٠.
- (١٣) التفسير المُبين، محمد جواد مغنية: ١٩٣.
- (١٤) ظ: نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، تومان غازي الخفاجي وزميله: ١٨٢.
- (١٥) مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بوليتزر: ١٩٤.
- (١٦) ظ: نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي تومان غازي الخفاجي وزميله: ٨٣.
- (١٧) فلسفة العلم في القرن العشرين، دونالد جيليز: ١١-١٢.

- (١٨) نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، تومان غازي الخفاجي وزميله: ١٢١.
- (١٩) صحيح مسلم: ٦٧/١، حديث برقم (٤٥).
- (٢٠) ظ: فلسفة فوريباخ بين المادية والإنسانية، نادية أحمد النصاروي، ٥ (المقدمة).
- (٢١) التقويمان الهجري والميلادي، فريمان - جرنفيل: ٢٥.
- (٢٢) ظ: عيد القيامة، بحث متاح على موقع الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org
- (٢٣) المنهج، معرفة المعرفة، إدغار موران: ١٠٦/٣-١٠٧.
- (٢٤) ظ: التقويمان الهجري والميلادي، فريمان - جرنفيل: ٩.
- (٢٥) يخالف تاريخ الهجرة المثبت في متن البحث لما قرره فريمان وجرنفيل بأنه يوافق ١٦/تموز، أي الشهر السابع الشمسي الساخن سنة ٦٢٢م، وهو أحرّ الشهور عندنا، وقد اعتمد الباحثان على فرضية مغلوبة لم يعرفها الأجانب لعدم فهمهم لعلم النسيء عن العرب قبل الإسلام، الذي أقره النبي (ص) من مبعثه حتى وفاته كسنة متبعة، تُركت بعد وفاته (ص). ظ: م.ن: ٨-٩.
- (٢٦) ظ: م.ن: ٩.
- (٢٧) لسان العرب، ابن منظور: ٣١٥/٥ مادة (رمض)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٥٣١ (رمض).
- (٢٨) سورة البقرة: ١٩٧.
- (٢٩) روح المعاني، الألوسي: ٦٥٦/٢، ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٥٣/٣، (حج).
- (٣٠) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ٢٤٨/٢ (جمد).
- (٣١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ٢٣٤ (جمد).
- (٣٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ١٢٥/١٦.
- (٣٣) م.ن: ١٢٦/١٦.
- (٣٤) ظ: تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ١٥٦/٢.
- (٣٥) ظ: تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ١٥٦/٢.
- (٣٦) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٤٢/١.
- (٣٧) م.ن: ١٤٢/١.
- (٣٨) م.ن: ١٤٣/١.

- (٣٩) ظ: سنن الترمذي: ١٩٥، حديث برقم (٦٩١)، وسنن أبي داود، حديث برقم (٢٣٥٦).
- (٤٠) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١/١٤٥.
- (٤١) ظ: السيرة النبوية، ابن هشام: ٢/١٨٠.
- (٤٢) م.ن: ٢/١٨٠.
- (٤٣) ظ: الكامل، ابن الأثير: ٢/٧٤.
- (٤٤) تاريخ اليعقوبي: ١/١٥٤.
- (٤٥) البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٥/٤٦.
- (٤٦) ظ: لسان العرب، ابن منظور: ١٤/١١٧، (نساً).
- (٤٧) البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٥/٤٨.
- (٤٨) سورة البقرة: ٢٧٦.
- (٤٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ١٦/١٢٨.
- (٥٠) ظ: روح المعاني، الألوسي: ١٠/٣٩٦.
- (٥١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١/٥٢١.
- (٥٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٥/٤٥.
- (٥٣) ظ: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢/٥٢١.
- (٥٤) الكشاف، الزمخشري: ٢/٢٥٧.
- (٥٥) سورة التوبة: ٣٦.
- (٥٦) سورة التوبة: ٣٧.
- (٥٧) الزاهر، الانباري: ١/٥٥٩.
- (٥٨) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ٢/١٦٩٤.
- (٥٩) البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٥/٤٦.
- (٦٠) لسان العرب، ابن منظور: ٧/٣٦٠ (صفر).
- (٦١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٢/٥٢١.
- (٦٢) الزاهر، الأنباري: ١/٥٥٩.

- (٦٣) الكشاف، الزمخشري: ٢٥٨/٣.
- (٦٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ١٢٩/١٦.
- (٦٥) مجمع البيان، الطبرسي: ٤٢/٥-٤٣.
- (٦٦) صُرفت القبلة من الشام إلى الكعبة ((يوم الاثنين للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمه (ص) المدينة، وقيل على رأس ستة عشر شهرا، بعد صلاة الظهر، وفيها أيضا في شعبان فُرِضَ صوم شهر رمضان)). الكامل، ابن الأثير: ١٣/٢.
- (٦٧) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٨٠١.
- (٦٨) سورة يونس: ٥.
- (٦٩) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش: ١٥٤/١-١٥٥.
- (٧٠) ظ: في سبيل منطق للمعنى، روبر مارتن: ٣٦.
- (٧١) سورة التوبة: ٣٧.
- (٧٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٧٤.
- (٧٣) سورة التوبة: ٣٧.
- (٧٤) الكشاف، الزمخشري: ٢٥٧/٢.
- (٧٥) ظ: مجمع البيان، الطبرسي: ٤٦/٥.
- (٧٦) ظ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي: ١٢٥ / ١٦.
- (٧٧) ظ: روح المعاني، الألوسي: ٣٩٦/١٠.
- (٧٨) صحيح مسلم: ١٣٠٥/٣، حديث برقم (١٦٧٩)، وفي سنن أبي داود، برقم (١٩٤٧)، وفي السنن الكبرى برقم (٤٢١٥).
- (٧٩) الفلسفة الألمانية الحديثة، رودجر بوبنر: ٦٥.
- (٨٠) سورة الكهف: ٢٥.
- (٨١) مجمع البيان، الطبرسي: ٤٥/٥-٤٦، ظ: البحر المحيط، ابن حيان الاندلسي: ٤٦/٥، روح المعاني، الألوسي: ٣٩٩/١٠.
- (٨٢) ظ: الكشاف، الزمخشري: ٢٥٧/٢، مجمع البيان، الطبرسي: ٤٦/٥.

- (٨٣) سورة القصص: ٧٧.
- (٨٤) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١٨٩/١
- (٨٥) ظ: م.ن: ١٩٧/١.
- (٨٦) ظ: م.ن: ٢٢١/١.
- (٨٧) ظ: م.ن: ٢٠٤/١.
- (٨٨) ظ: م.ن: ٢٣٦/١.
- (٨٩) ظ: م.ن: ٢٦٩/١.
- (٩٠) سورة الحجرات: ١٣.
- (٩١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ٢/٢٥٥.
- (٩٢) الخطاب والتأويل سلطة السياسية وسلطة النص، د. نصر حامد أبو زيد: ٢٠٥.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم.

أولاً: الكتب:

١. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سوريا، ط١، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٢. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢ (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
٣. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٥، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ)، المكتبة المرتضوية في النجف، مطبعة الغري (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م).
٥. التفسير المبين، محمد جواد مغنية، دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

٦. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، راجعه وخرج أحاديثه أيمن محمد نصر الدين، والدكتور عبد الرحمن الهاشمي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٧. التقويمان الهجري والميلادي، فريمان - جرنفيل، ترجمة عن الانكليزية د.حسام محيي الدين الألوسي، دار الشؤون الثقافية العامة، مطبعة الجمهورية، بغداد (١٣٨٩هـ/١٩٧٠م).
٨. الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، هانز جورج غادامير، ترجمة د. حسن ناظم دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط١، ٢٠٠٧م.
٩. الخطاب والتأويل، سلطة السياسية وسلطة النص، د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط٢، ٢٠٠٥م.
١٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمد الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق محمد أحمد أمين، وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
١١. الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.
١٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي (ت ٢٧٥هـ) حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
١٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى السلمي الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
١٤. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند. حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤ هـ.
١٥. السيرة النبوية، ابن هشام (ت ٢١٣هـ)، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٥، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

١٦. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، طبعة بالأوفسيت عن طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول، ١٤٠١هـ.
١٧. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، حقق نصوصه وصححه ورقمه وعدّ كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة (د.ت).
١٨. الفلسفة الألمانية الحديثة، روديجر بوينز، ترجمة فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
١٩. فلسفة العلم في القرن العشرين، دونالد جيليز، ترجمة ودراسة د. حسين علي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٠. فلسفة فويرباخ بين المادية والإنسانية، نادية أحمد النصراوي، دار الرافدين، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠١٧م.
٢١. في سبيل منطق للمعنى، روبير مارتان، ترجمة وتقديم الطيب البكوش وزميله، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٢. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، رتبه ووثقه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
٢٣. الكامل في التاريخ، ابن الأثير أبو الحسين علي أبو الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ)، إدارة المطابع المنيرية، مصر، ١٣٥٦هـ.
٢٤. كشف اصطلاحات الفنون، الشيخ محمد علي بن علي بن محمد التهانوي الحنفي (ت بعد ١١٥٨هـ)، وضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).
٢٥. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)، حققها على نسخة خطية: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).
٢٦. لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١هـ)، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٣، (د.ت).
٢٧. مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بوليتزر، ترجمة د. فهيمة شرف الدين، دار الفارابي، ١٩٦٩م.

٢٨. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام ق٦هـ)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاختصاصيين، قدم له محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٢٩. المعجم المفهرس للألفاظ القرآن، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٣٠. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (توفي في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، مطبعة أميران، قم، ط٣، (د.ت).
٣١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط٢، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

٣٢. المنهج، الأفكار، إدغار موران، ترجمة د. يوسف تيبس، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٣م.
٣٣. نظرية علم النقطة في تجديد الفكر العربي، تومان غازي الخفاجي وزميله، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ٢٠١٨م.

ثانياً: المواقع الإلكترونية:

٣٤. التقويم الهجري كيف كان وكيف أصبح؟، إبراهيم دادي، بحث متاح على الموقع الإلكتروني:

www.ahl-alquran.com

٣٥. التقويم قمري، بحث متاح على مواقع الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org

٣٦. عيد القيامة، بحث متاح على موقع الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org

